

المسحاة

مجلة

المجلد الثامن عشر
الجزء التاسع



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الأبصار

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الأبصار

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى وه مناراء كنار الطريق

مصر ٢٩ ذي القعدة ١٣٣٣ — ١٥ الميزان (خ ١) ١٢٩٤ هـ ش ٩ أكتوبر ١٩١٥

البرهان

على

خروج تارك الصلاة ومانع الزكاة من الايمان

جمع أدلته من الكتاب والسنة محمد علي أبو زيد

الطاب بكية دار الدعوة والارشاد

٣

فها أنت ذا قد سمعت من الآيات ما يدلك على أن مانع الزكاة مشرك بالله ، لأنه آثر المال على الله ^(١) وكافر بيوم المعاد ، لأنه لو كان عنده جزم بل ظن به لحملة على الاتفاق ، فلا إخالك تشك في أنه محروم من الجنة ، وإن (مأواه جهنم وبئس المصير)

وهاك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الدالة على ما قلنا ، المؤيدة لما ذكرنا

أخرج ابن عساكر عن رسول الله (ص) أنه قال « أقسم الله تعالى ألا يدخل الجنة بخيل » وفي رواية للخطيب « يحلف الله بعزته وجلاله ألا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل »

وأخرج ابن أبي شيبة وهناد والنسائي والحاكم والبيهقي عنه (ص) « لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا » وفي رواية لابن عدي : « لا يجتمع الإيمان والبخل في قلب رجل مؤمن أبدا »

(١) المنار : مثل هذا القول لا يمكن حمله على الشرك في الاعتقاد وإنما هو من باب حديث « تعس عبد الدينار » وباب (أفرايت من اتخذ إلهه هواه)

فهذا رسول الله (ص) المبين للدين، الناطق عن الله، أراك أن البخل لا يدخل الجنة، ولم يأت بالخبر إلا مؤكداً بالقسم عن الله تعالى ولا يخفى أن البخل خلق في النفس يمنع صاحبه من بذل فضله لمن يحتاج إليه. والشح أشد من البخل، فهو أكثر منعاً منه لصاحبه، وكلاهما ضد للإيمان الذي يحمل صاحبه على بذل روحه في سبيل ربه، فضلاً عن بذل ماله وفضله، فكيف يكون المانع للزكاة مؤمناً وهو لم يمنع الزكاة إلا حرصاً على المال، وإثارة له، وشحاً به على الله؟ فلا شك في كفره وحرمانه من الجنة كما أخبر الله ورسوله

وهنا ربما تقول: أتيتنا بآيات في الصلاة وصفت تاركها بالشرك والكفر والنفاق، ولم تصف آيات الزكاة مانعها إلا بالشرك والكفر فقط. فأقول لك: قد جاء في القرآن أيضاً وصف المنافقين بمنع الزكاة. قال عز شأنه في سورة التوبة (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم) فقبض اليد هو إمساكها عن الاتقاق الواجب من زكاة وغيرها، وقد علمت حال المنافقين ودرجتهم مما سبق، فلا حاجة إلى الإعادة، وإلى هنا تنتهي من أدلة الزكاة وحدها واني أتلو عليك آيات في الصلاة والزكاة معا

(قال) الله تعالى في سورة البقرة (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر إلى أن قال: وأقام الصلاة وآتى الزكاة، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) فانظر كيف جعل البر الإيمان بالله واليوم الآخر، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والوفاء

بالمهد، والصبر في الشدائد. وتراه قد ابتدأ بالإيمان وعقبه بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة لانهما تابعان له، لا ينفكان عنه، ثم ذكر بعدهما الوفاء بالمهد والصبر في الشدائد، وهما من الاخلاق التي تدعو اليها الصلاة، وتثبتها في النفس، وقد عرفت ذلك فيما تقدم من الحكمة

ولما كان الإيمان يستلزم إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وما يتبعهما من الاعمال والاخلاق، وكان محالاً—بحسب سنة الله تعالى—أن يوجد الإيمان في قلب المرء ويستقر من غير أن يحرك الجوارح لتلك الاعمال، ذيل الآية بقوله « أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » أي أولئك الذين أقاموا الصلاة فأتوا بها معدلة مقومة، وآتوا الزكاة لمستحقها بنفس طيبة، واتصفوا بهذه الاخلاق الفاضلة، هم الذين صدقوا في إيمانهم، وهم الذين فعلوا ما يقيهم عذاب ربهم، دون غيرهم. وهذا نص صريح في أن من يدعي الإيمان من غير أن يكون مصلياً لله مزكياً، تكون دعواه باطلة كاذبة، اذ لم يأت عليها من أعماله بشاهد أو بينة^(١)

وقد قضت حكمة الله تعالى أن يكون الإيمان حياة للروح، كما أن الدم حياة للجسم، وكلاهما يحتاج الى ما يمدّه ويقويه، فكما أن الدم يطلب بطبيعته أن تأتي له الاعضاء بمواد تجهزها له، وتمده بها ليقوى ويزاد صلاحاً لتقوية الجسم على حاجاته، كذلك الإيمان يطلب عملاً صحيحاً تقوم به الجوارح من الصلاة والزكاة وغيرهما لينغذيها ويزيده قوة فتقوى بقوته

(١) المنار: الاستدلال بعدم الاتيان بالبينّة وباستلزام الإيمان للعمل يجادل فيه المشتغلون بالعلم بقولهم ان عدم الاتيان بالدليل لا يقتضي عدم المدلول وعدم البينة لا يقتضي كذب الدعوى، وعدم الملزوم يقتضي عدم اللازم دون العكس، ويعدون هذا الاستدلال من الخطايات. وستعلم ان له وجهاً صحيحاً

الروح ، وتستعد بزيادته النفس لأن تكون ملكية صالحة لجوار الله تعالى، وأهلاً للتمتع بجناته ورضوانه

وهذا هو السرّ في أن الايمان متى قام بالنفس صرف الجوارح في العمل حتماً ، وأن الايمان لا يوجد في قلب امرئ لا يصلي أو لا يزكي ، كما سمعت من الآيات التي تقرن الايمان بالعمل على الدوام ، وتكذب من يدعي الايمان ولا يعمل ، لانه لو كان صادقاً لآتى بالصلاة والزكاة التي تصدقه وتشهد له ، وقد علمت أن غير الصلاة والزكاة من الفضائل هو تابع لهما بالضرورة ، ولذلك تجد الآيات تقرنهما بالايمان ، وتذكر غيرهما بعهما ، وفي كثير من الآيات يستغنى بذكرهما بعد الايمان ، للإشارة الى ذلك (قال) تعالى في وصف المؤمنين في سورة النساء (والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً)

س لم قال (والمقيمين) فأتي بها منصوبة على غير المألوف لنا من قواعد النحو في العطف ؟

ج لتنبية الذهن ، فهو تخصيص يظهر لك به قيمة المقيم للصلاة ، وتأکید للعناية بها ، اذ هي الاصل للفضائل كما أسلفنا ، والناحية عن الفحشاء والمنكر ، وقد أوردتها بأختها الزكاة ، وجعلهما معاً وسطاً بين الايمان بالكتب المنزلة من السماء ، وبين الايمان بالله وبالجزاء ، ليفيد أنهما مظهر الايمانين ، وأن المؤمن لا بد أن يتصف بالصفتين

و كأنه يقول : ان من لم يتحل بالصلاة والزكاة ، لا يكون مؤمناً بالله ، ولا خائفاً من عذاب الله . اسمع قوله تعالى في سورة النور (في

٦٦٦ بناء الأعمال على جلب النفع ودفع الضرر [المنار: ج ٩ م ١٨]

يوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزئهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله) الآية

تجد أنه جعل خوف هؤلاء الرجال من يوم القيامة وهوله ، وما يلاقىهم هناك من حسابه ، سببا في ذكرهم ربهم ، وإقامة صلاتهم ، وإيتاء زكاتهم ، كما أن فعلهم الصلاة والزكاة نتيجة ثقتهم بأن الله يشكرهم على فعلهم ، ويمتعم بثمره أعمالهم ، فالآيات تنادي بأن من لم يقيم الصلاة ولم يؤت الزكاة لا يخاف ذلك اليوم - يوم الدين ، ولا يثق بثواب رب العالمين ، إذ النفس مفطورة على فعل الشيء متى ترجح لها فيه الخير ، والابتعاد عنه إذا علمت منه الضرر ، وهذه قاعدة نفسية ، تجري عليها جميع الأعمال البشرية ، فمن ادعى خلافها فهو كاذب . ألا تراك حين تعلم أنك إذا وضعت يدك في جحر الثعبان فإنه يلدغك ، أو أكلت طعاما فيه سم فإنه يقتلك ، لا تستطيع بحسب فطرتك أن تقدم عليه البتة ، اللهم إلا إذا زال من نفسك هذا العلم بالضرر ، أو أصابك شيء في العقل فترجع لك النفع في الموت ، ولكن مادام العقل سليما ، والضرر مرجحا ، فإنك لن يمكنك الإقدام عليه ، فارجع الى وجدانك ، وحقق منه ذلك ، فإنك لا تشك في أن تارك الصلاة ومانع الزكاة ، لم يمنعه من أدائها ، إلا ما قام بنفسه من ترجيح الخير في تركها ، وعدم يقينه بأن سيعذب على عدم المبالاة بهما ، ولو قرأت قوله تعالى عقب هذه الآية مباشرة (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) الآية - لرأيت أنه يقابل الآية التي قبلها ،

[المنار: ج ٩ م ١٨] أما الصلاة بالخشوع والعبادة بالاخلاص ٦٦٧

ومن المعلوم في سنة القرآن أن يذكر الكافرين ، في مقابل المؤمنين ،
فيريك أن من يتخلى عن تلك الصفات إنما هم الكفار ، ولا بد للمؤمنين
من الاتصاف بها ، فبها يعرفون ، وبها يميزون

(قال) تعالى في سورة المؤمنين (قد أفلح المؤمنون * الذين هم في
صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون)
جعل الفلاح للمؤمنين الخاشعين في صلاتهم ، الفاعلين لزكاتهم ، فأفهم
ألا فلاح لغير المؤمن ، كما أنه لا إيمان لمن لا يصلي خاشعاً ، وبزكي عجا
س عهدنا من القرآن أن يذكر الزكاة بعد الصلاة من غير فصل ،
فلماذا فصل بينهما هنا بقوله « والذين هم عن اللغو معرضون » ؟

ج لينبهك الى نكتة جميلة ، وحكمة جلية ، وهي ان الصلاة التي
ليس فيها خشوع لا يعابها ، وأنها لغو يتنزه المؤمنون عنها ، فليكن لك
من كلام الله عبرة ، ترجع فيما تطالبك به نفسك اليه ، وتقيس أخلاقك
وما تأتي به من الاعمال عليه ، فمالك من قسطاس مستقيم يزن الاعمال
بالضبط غيره ، ولا مقياس صحيح يحدد الصفات بالحق سواء (هذا
كتابنا ينطق عليكم بالحق — ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون)
(وقال) تعالى في سورة النمل (طس * تلك آيات القرآن وكتاب
مبين * هدى وبشرى للمؤمنين * الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة
وهم بالآخرة هم يوقنون)

(وقال) في سورة لقمان (ألم تلك آيات الكتاب الحكيم * هدى
ورحمة للمحسنين * الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم
يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)

نراه هنا قد حصر الفلاح فيهم؛ وأفادك أمرا آخر وهو أن الصلاة والزكاة مع ملازمتيهما للإيمان بالآخرة، قد يأتي بهما المرء عن غير داعية الإيمان، إما للرياء أو الأكراه. وحينئذ لا يكون له حظ في هداية القرآن، ولا البشرى بالجنة والرضوان، ومن كان هذا حاله، لا تنفعه صلاته، ولا تقبل منه تققاته

(قال) تعالى في سورة براءة (وما منهم أن تقبل منهم تققاتهم ألا أنهم كفروا بالله وبرسوله، ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وزهق أنفسهم وهم كافرون) أنزل الله ذلك في شأن المنافقين الذين لم تكن صلاتهم عن إيمان فينشطوا اليها، ويرتاحوا بها، ولم تكن تققاتهم عن اخلاص فينفقوا عن طيب نفس ورغبة في القبول، فبذلك كفروا، وجعل الله أموالهم وأولادهم فتنة لهم، ووبالا عليهم، وسينتقم منهم (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) من عيوب الشرك والنفاق هذا وقد تضافرت الآيات الناطقة بأن الصلاة والزكاة هما علامتا الإيمان بالله، ودليلا الاخلاص له، وأنه لا يصح إيمان بدونهما، كما أنهما لا تقبلان من غير أن يكون الإيمان باعنا عليهما، وها أنا ذا أزيدك على ما تقدم منها ما تقطع بعد تدبره بأن تارك الصلاة ومانع الزكاة لم يمس الإيمان قلبه

قال العزيز الحكيم في سورة السجدة الم (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون) تتجاني

جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعا ومما رزقناهم ينفقون (وقال) تعالى في سورة الانفال (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون) الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * اولئك هم المؤمنون (حقاً) وقد أتى في الآيتين بلفظ «انما» الذي يدل على الحصر، كأنه يقول سبحانه إنه لا يوجد الايمان الصحيح الا فيمن يكون هذا شأنهم، وتلك صفاتهم، فمن لم يهتز قلبه لذكر الله، ولا يخضع ويدعن لاوامره، فيرجو ثوابه، ويخاف عقابه، فليس بمؤمن وإن سمي نفسه مؤمناً، لان المؤمن يدور دائماً بين خوف ورجاء، نخوفه عذاب ربّه يزجره عن المنكرات، ورجاؤه ثوابه يدعوّه الى المسارعة في الخيرات، فمن لم يك كذلك فاعتقد كذبه في دعوى الايمان، وحسبك شهادة الله لمن يقيم الصلاة ويعطي الزكاة بعد ما تقدم بقوله (اولئك هم المؤمنون حقاً) بالحصر المؤكّد بالحق . فهل بعد هذه أدلة، تشفي من الغلة، أو ينتظر برهان، أرقى من القرآن؟ ولنختم الموضوع بآيات أخرى ودلائل، لاتدع بعدها قولاً لقائل فتلو قول الله الكريم (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) الآيات، ففيها يقول الله للمسلمين (فاذا انسلخ الاشرار لهم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد، فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم) وفيها يقول (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) — الى أن قال — لا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمة وأولئك هم المعتدون * فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين)

أمرهم ألا يعتدوا بتوبتهم من الشرك والاعتداء إلا إذا اتبعوا التوحيد بإقامة هذين الركنين للدين ، لأنهم بهما يصيرون مسلمين متآخين ، وعلى هذا سار الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ، وقتال الخليفة أبي بكر باجماع الصحابة لما نهي الزكاة ، وعده إياهم خارجين بتركها مشهور ، وبه علم أن الاسلام أركانه متضامنة ، لا يقام إلا بإقامتها جميعها ، وينهدم بهدم أي ركن منها ، وقد عزز ذلك النبي صلى الله عليه وسلم أيضا بالحديث الذي خرج به الامام أحمد ^(١) « أربع فرضهن الله في الاسلام فن جاء بثلاثة لم تغنين عنه شيئا حتى يأتي بهن جميعا : الصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج البيت » وقد علمت مما تقدم أن من يقيم الصلاة بالخشوع ، ويؤتي الزكاة بالاخلاص ، لا يسه أن يترك غيرها من الفروض ، ولا يمتنع عن تقوى الله ما استطاع ، ولذلك اختصرنا عليهما إذ يوشك أن تضع كل فضيلة بضائعهما ، وعدم المبالاة بهما فاتقوا الله يا معشر المسلمين ، واعلموا أنكم لستم بمأجورين ، حتى تحذوا حذو سلفكم الصالحين ، فتكونوا بالصلاة والزكاة أمرين مؤتمرين وعلى يد التاركين لهما ضارين ، (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين) تنعاونون على نشره ، وتنتكثون في أحياء شعائره ، فتعملون كلمته ، وتجنون ثمرة

هذه نصيحتي أقدمها إليكم ، عسى أن تكون وسيلة لديكم ، فتطلبوا الحق من القرآن ، ولا تستبدلوا التقليد بالبرهان
هداني الله وإياكم
محمد علي أبو زبير

[المنار] عنوان هذه الرسالة والكثير من عباراتها مخالف في ظاهره لمذهب أهل السنة في عدم تكفير المسلم بترك فريضة أو فعل معصية، وموافق لمذهب الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة كترك أحد أركان الإسلام أو اقتراف القتل أو الزنا أو شرب الخمر، وقد تعارضت ظواهر نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب فأطلق اسم الكفر في بعض أحاديث صحيح مسلم على ترك الصلاة وعلى الطعن في النسب والنياحة على الميت وفي حديث الصحيحين «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» (وفيها) إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» وقال تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) فسيماها مؤمنين . وقال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فجمع أهل السنة بين هذه النصوص وأشابهها بأن لفظ الكفر — ومثله الفسق والظلم — ورد في الكتاب والسنة بالمعنى اللغوي فأطلق على كفر النعمة وعلى الشرك وما في معناه من منافيات الايمان بالله ورسوله وتصديق ما جاء به الرسول (ص) عن الله تعالى . وكذلك الفسق والظلم — قال تعالى (ان الشرك لظلم عظيم » والكافرون هم الظالمون * كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) وقال (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) فهذا الفسق دون ما قبله . وكذلك لفظ الشرك وهو أقبحهما أطلق على ما دون اتخاذ إله مع الله فسمي الرياء شركاً وجملة القول ان أهل السنة لا يكفرون أحداً من المسلمين بمعصية يرتكبها فعلاً كانت أو تركاً وان كانت من الكبائر ، الا أن بعض أئمة أهل السنة من الصحابة والتابعين قالوا بكفر تارك الصلاة كما تقدم في تعليقتنا على حديث مسلم في أول هذه الرسالة، وأطلق جمهورهم كلمة «المرتدين» على مانعي الزكاة بعد وفاة الرسول (ص) كما أطلقوه على من رجعوا عن الإسلام إلى الشرك أو الايمان بنبوة الكذابين مسيئة والاسود العنسي ، ولكن قال علماء السنة ان الذين منعوا الزكاة تأولوا بأن أخذها خاص بالنبي (ص) لم يسموا مرتدين الا بالتبع لغيرهم أو بمعنى الارتداد اللغوي . وان الاجماع انعقد في عهد الصحابة بأن من منع الزكاة متأولاً — ومثله من جحد ما في معناها وحكمها — تقام عليهم الحجة أولاً فان اعترفوا بوجوبها ولم يؤدوها لا يحكم بكفرهم بل يقتلون قتال البغاة لا الكفار، كما قاتل الصحابة الخوارج ولم يكفروهم ولا عاملوهم معاملة الكفار في القتال

هذا — وان وراء هذه المسألة بحثاً آخر وهو : انه لا يعقل أن يكون المرء مؤمناً بالله تعالى وبرسوله وباليوم الآخر على الوجه الحق الذي دعا اليه القرآن ، ومسلماً مدعياً في ظاهره وباطنه لما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو يترك الصلاة التي هي عماد الاسلام وركنه الاعظم للعبادات الشخصية ، والزكاة وهي ركنه الاعظم الذي تقوم عليه حياته الاجتماعية ، غير مبال بنصوص الكتاب والسنة التي قرنتها بالايان ، وعدتهما أعظم أركان الاسلام ، وقد عد السلف العمل بما أمر الله ورسوله داخلاً في مفهوم الايمان ، والاذعان شرط لصحة الايمان بالاتفاق . وكيف يكون مدعياً من لا سلطان للامر والنهي على قلبه ، ولا يظهر لهما أثر في عمله ؟

لقد أحسن من عبر عن المسألة بقوله «لأنكفر أحداً من أهل القبلة» أي من ثبت إسلامه بأذعانه لما جاء به نبينا ، بأن كان يصلي معنا الى قبلتنا ، ويلتزم أحكامنا وشعائرناء ، فأننا لا نحكم بكفره لذنب يقتضيه بجهالة كثورة غضب ، أو نزوة شهوة ، أو فريضة يتركها بشغل عارض ، أو برد قارس ، ثم يتوب من قريب ، إذعانا لمقتضى الوعد والوعيد (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم» والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله؟ ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) لا إيمان لمن لا اذعان له ، ولا إذعان لمن لا اسلام له ، ولا اسلام لمن لا عمل له ، وأعمال الاسلام قسمان أو كان كأركان البيت يتوقف عليها وجوده ، وواجبات ومندوبات يتوقف عليها كماله ، فهذا هو الاسلام الديني وهناك اسلام آخر هو عبارة عن جنسية سياسية أو اجتماعية تنال بالوراثة أو بالانتماء الى قوم يسمون مسلمين ، وهذا الاسلام لا يشترط فيه العلم بعقائد الاسلام الديني ولا القيام بأركانه وشعائره الظاهرة ، ولا ترك محرماته المجمع عليها ولا استقباحها ، ولا ينافيه إنكار شيء من القرآن ولا استقباح شيء من شرعه كتحريم تبرج النساء والخمر والقمار ، وإنما يعرف بالاسم وبمشاركة المسلمين في بعض احتفالات أعيادهم ومواسمهم المشروعة والمبتدعة ، وبعدم التزام شعائر دين آخر . وانا نرى بعض الملاحدة من هذا الجنس يريدون هدم الاسلام الديني بالاسلام الاصطلاحي الجنسي ، حتى انهم يبيعون جحد المجمع عليه المعلوم منه بالضرورة وأولئك هم المرتدون المنافقون

[المنار: ج ٩ م ١٨] أنواع الأمراض الطفيلية الميكروبية ٦٧٣

مَدَامُ دَارُ الدَّعْوَةِ وَالْإِنشَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١١

أنواع أمراض الأحياء الطفيلية الميكروبية

هذه الأمراض نوعان : منها ما عرف ميكروبه باليقين ، ومنها ما لم يعرف إلى الآن. ومن أسباب ذلك أن جميع المجاهر أو النظارات المكبرة (الميكروسكوبات) الحالية لا تكشف إلا ما بلغ طول قطره ١٦ و٠ من الميكرومليمتر أو أكثر . أما ما قل هن ذلك فلا يمكن رؤيته إلى الآن مطلقا ويسمى [بما وراء المجهر] (Ultra-microscopic) وهذه الميكروبات تمر خلال أحكم النواضح (المرشحات) مثل ميكروب الكلب وجذري البقر

أما الميكرومليمتر المذكور هنا — ويسمى أيضا [المكرون] — فهو جزء من ألف من المليمتر، ويرمز إليه بهذه العلامة (μ) في الأفرنجية وبحرفي (مك) في العربية والميكروبات المعروفة إما نباتية أو حيوانية — كما سبق —

الأمراض التي تنشأ من الميكروبات النباتية

الحُمى التيفودية Typhoid Fever

لفظ التيفود يوناني معناه [شبه التيفوس] ومعنى كلمة [تيفوس] الصاعقة،

سميت بذلك الحُمى المعروفة لأنها تصعق المريض

(المجلد الثامن عشر)

(٨٥)

(المنار: ج ٩)

٦٧٤ الحمى التيفودية. أسبابها [المنار: ج ٩ م ١٨]

هذه الحمى من الحميات الشهيرة المعدية وتمتلك عادة نحو ثلاثة أسابيع ، وقد يُنكس فيها المريض مرة أو أكثر . وأهم مميزات طفح قرنفلي واسهال مع التهاب وتقرح في بقع (بايير) وفي الغدد المنعزلة للأمعاء . ولاصابة الأمعاء فيها بالتقرح تسمى أيضا بالحمى المعوية

الاسباب — هذه الحمى لا يميز الا قليلا بين الذكر والانثى ، ولكن للعمر تأثيرا كبيرا فيها فهي تكثر في سن الشباب الى ٣٠ سنة وبعد ذلك تقل كثيرا ، غير انها قليلا ما تصيب الاطفال والشيوخ ، واذا أصابت الاطفال كانت الاصابة خفيفة ومدتها قصيرة ، واضرارها بالأمعاء أقل مما في الشبان

تكثر هذه الحمى بين شهري أغسطس ونوفمبر ، أو في فصل الحر والجفاف . واذا أصيب بها المرء مرة وقته من الاصابة بها مرة أخرى . وميكروبيها من الشكل الباسيلي ، كثير الحركة باهدابه ، طوله ميكرونان أو ثلاثة ، ويتكاثر بالانقسام ، ولا حبيبات له . ويوجد بكثرة في البراز وفي البول^(١) وفي اللعاب أيضا (في المضاعفات الرئوية) وفي العرق ، ويوجد كذلك في قيح الخراجات التي تنشأ من هذه الحمى . وقد ينتقل من الام الى جنينها

فاذا وصل هذا الميكروب الى أي شيء مما يأكله الانسان أو يشربه انتشر المرض بين الناس . والذي اكتشفه هو [ايرت Eberth] سنة ١٨٨٠ وهذا الميكروب يعيش حتى في الثلج ولا يقتله عصير المعدة الحامض ويقاوم درجة ٤٤ الى ٤٥ سنتيمجراد مدة طويلة جدا ، ولذلك قد يصل الى الانسان من مثل القشدة المثلوجة وغيرها ، ويدخل هذا الميكروب كثيرا في الاسماك الصدفية أي المحار (كأم الخلول) التي تؤكل عادة بلا طبخ ويعيش فيها الميكروب وهي حية لغاية ١٨ يوما بدون أن يظهر عليها عرض مّا . واذا جف الطين وصار بحيث تثيره الريح عاش الميكروب فيه ٢٥ يوما فينتقل بذلك الى طعام الانسان وشرابه . وكذلك الذباب ينقله أيضا . وقد يعلق هذا الميكروب بالخضروات كالفجل والجرجير ونحوها مما يؤكل

(١) وجوده في البول كثير خصوصا في الاسبوع الثالث وفي طور النقاهة بل بعدها

غضا، فكل هذي الاشياء هي مما ينقل المرض من شخص الى آخر . وكثيرا ما تلوث الآبار أو الانهار أو أنابيب المياه من المراحيض التي يلتقى فيها إفراز المرضى . وقد ثبت انه يعيش في قذارة المراحيض من ٣ الى ٥ أيام ولكن يوجد في هذه المواد القدرة من الميكروبات ما يقتله بعد ذلك

واذا عرض هذا الميكروب لنور الشمس مات بعد ٤ ساعات وقد يبقى الى ٨ ساعات ، واذا وجد في الأرض مختبئا عاش شهرين كاملين ومن الناس من يحمل هذا الميكروب في جسمه عدة أشهر بل عدة سنوات بعد الشفاء من الحمى ويكون سببا في عدوى الكثيرين ببوله وبرازه (١) ومن المحقق ان المرأة هي غالبا مسكن الميكروب في هؤلاء الحملة (خصوصا من النساء) وفيها يتكاثر بعد الشفاء (راجع صفحة ١٦ و ١٧ من هذا الجزء)

والطريق الوحيد للعدوى بهذا المرض هو الجهاز الهضمي فاذا وصل الى أي جزء منه — كالفم مثلا — اذا ذرته الريح فدخل غباره في جوف الانسان فن الجائز أن يصاب بهذا المرض، وان كان الغالب في العدوى ان يزدرد الانسان في الطعام أو الشراب الاعراض — مدة التفريح تكون في أكثر الاحوال نحو أسبوعين وقد تكون ٥ أيام فقط أو ٢٢ يوما . ويتبدى المرض بإحساس المريض تدريجيا بضعف وتكسر في الجسم ويسأم العمل ويشعر بصداع وآلام في الاطراف والظهر وبالإلقاء (فقد شهوة الطعام) وقد يحصل له غثيان أو قيء . وفي أغلب الاحوال لا يمكن للمريض أن يمين بالضبط مبدأ لهذه الاعراض — بخلاف بعض الحيات الاخرى التي تتبدى فجأة — ويكون الصداع شديدا (وأكثر شكاوى المريض منه) وفي كثير من الاحوال يحصل له إسهال . وقد يحاول المريض في أول الامر أن لا ينقطع عن عمله الا أنه في أواخر الاسبوع الاول يضطر الى ذلك ويأجأ الى الفراش . وكذلك تتبدى الحرارة بالتدرج حتى تصير بعد أيام قلائل نحو ٤٠° ويسرع النبض وتزداد مرات التنفس . وفي نحو اليوم السابع أو العاشر يكون عند المريض

(١) خروج الميكروب مع البراز ليس متتابعا بل متقطعا فاذا وقف زمنا ما فقد يعود ثانية ، ولذلك فمن المتعذر القطع بطهارة الحامل منه وعدم عدواه لغيره

ذهول وضعف شديد و يحترق خداه و يحف اللسان ولا يزال يشتكي من الصداع .
ويحصل له أحيانا عرق غزير أو رعاف . ومن اليوم السادس الى اليوم الثاني عشر
يظهر الطفح القرنفلي المخصوص وهو نقط أو بقع صغيرة وردية مستديرة مرتفعة قليلا
عن سطح الجلد تزول بالضغط عليها ولا يحصل فيها نزف كما في التيفوس ، وتشاهد
هذه النقط على البطن والصدر وقد ترى أيضا على الجنبين والظهر أو العضدين
والفخذين ، ويتراوح عددها بين ٦ الى ٣٠ أو ٣٠ وقد تزيد على ذلك بكثير .
وفي بعض الاحوال لا يكون لهذا الطفح وجود — خصوصا في مصر — وهو
لا يظهر دفعة واحدة بل تدريجيا ، وتمكث كل نقطة ٣ أو ٤ أيام ثم تزول ويخلفها
غيرها حتى نهاية الاسبوع الثالث أو بعده . وبعد الموت تزول هذه النقط

وفي الاسبوع الثاني يكون البطن منتفخا وبه آلام ، وبالضغط على الحفرة
الحرقفية اليمنى يشعر المريض بالألم القليل ، وقد يحس الطبيب بقراقر مخصصة ، ويشهد
الاسهال ، ولكن في بعض الاحوال — خصوصا في مصر — يكون البطن معتقلا
من أول المرض الى آخره ، وللبراز في هذا المرض رائحة كريهة مخصصة ولون أصفر
يشبه حساء (شوربا) العدس المصري . وقد يحصل نزف من البطن يكون سببا
في الموت أحيانا . ويكبر الطحال ويقل البول

أما الصداع فانه لا يمكث عادة بعد اليوم العاشر وقد يصاب المريض بالعمى
الوقتي . وفي أواخر الاسبوع الثاني تبتدى الحرارة في النزول تدريجيا حتى تصبح
طبيعية . هذا في الاحوال الحسنة

أما في الاحوال السيئة فيشتد الهذيان والنعاس الذي تنقبه الغيبوبة ، ويحصل
الاهتزاز الوتري ، وتجتمع الاوساخ على الاسنان والشفتين وغيرها ويضعف القلب
ويكثر السعال ويعسر الشفاء

وقد ينكس الانسان بعد الشفاء من هذا المرض ، فانه لوحظ أن نحو ١١ من
مريضا في المئة ينكسون ، وقد تكون الفترة بين المرة الاولى والثانية ١١ يوما . وفي
الغالب تكون مدة النكس مثل المدة الاولى في طولها ولكنها أخف منها ، وقد ينكس
ثانية وثالثة ورابعة

وأهم تفسير يحصل في الجسم بهذا المرض هو التهاب بقع (بايير) المذكورة والغدد المنعزلة. وفي اليوم العاشر أو بعده بقليل تتقرح هذه الاجزاء وقد ينتقب البريتون فتخرق الامعاء ويحصل التهاب بريتوني شديد يعقبه الموت. أما التغيرات في بقية الاعضاء فهي كما ذكر سابقا في المقدمة، وكثيرا ما يشاهد في التيفود اذا طالت مدته تغير العضلات الذي ذكره [زنكر Zenker] فتستحيل اليافها الى مادة شفافة كالشمع ثم تنفتت وتصبح حبيبات صغيرة وبذلك تفسد العضلات وقد يتولد فيها خراج

المضاعفات والاشكال المختلفة — مضاعفات هذا المرض كثيرة منها النزلة الشعبية والالتهاب الرئوي أو البليوراوي أو البريتوني أو السحائي، وغير ذلك كثير ومن أنواعها مالا يحكث الا عشرة أيام ويسمى بالنوع المجهبض [Abortive] أو يطول الى ٦ أسابيع. ومن الناس من لا يشعر بالمرض لشدة خفته ولكنه قد ينتقب أمعاؤه فجأة فيموت. واذا شفي المريض لا تعود اليه قواه العقلية والجسمية الا تدريجا فيحتاج في الاحوال البسيطة الى ثلاثة أشهر من مبدأ المرض الى تمام نقاهته، أما في الحالات الشديدة أو المتضاعفة أو ذات النكس فيحتاج الى ٥ أو ٦ أشهر من مبدأ المرض

الانذار^(١) — عدد الوفيات بهذا المرض هو من خمس الى عشرين في المئة. ومن أشد الاشياء خطرا على الحياة ثقب الامعاء والنزف

المعالجة — هي كما سبق في باب الحميات، انما نذكر هنا بعدة مسائل (١) أن لا يعطى المريض مسهلا الا في أول المرض، وأفضل المسهلات عندئذ زيت الخروع، ولا يجوز بحال من الاحوال اعطاء مسهل شديد البتة (٢) يجب التزام الراحة التامة على الظهر حتى يتبرز المريض في اناء مفرطح منعاً لكل حركة ويجب بقاء المريض على الغذاء السائل مدة ١٠ أيام على الاقل بعد نهاية المرض. والغرض من ذلك كله منع الانتقاب والنزف (٣) من اطباء من يعطي أدوية مطهرة للامعاء

(١) لفظ اصطلاحى يراد به الانباء بمصير المرض، وذلك مبني على ما ذكر في الكتب الطبية — تحت هذا العنوان — من الاحصائيات والملاحظات ونحوها

(كالساول) والزئبق الحلو بمقادير صغيرة ، ولكن نفع هذه الاشياء قليل ، وغاية الامر انها قد تقلل الاسهال والرائحة الكريهة للبراز (٤) اذا زاد الاسهال عن أربع مرات يوميا وجب العلاج والا فلا (٥) لأبأس من شرب الماء بكثرة فانه منعش ويفسل سموم الجسم في العرق والبول . وماء الجير نافع جدا اذا مزج باللبن فانه يسهل هضمه ويمنع الفتيان والقيء ويمسك البطن ويقوي خلايا الجسم ، فان الجير لازم لحياة جميع الخلايا (٦) يعالج الصداع بوضع الماء المثلوج على الرأس أو بتعاطي الفيناستين (بقدر ٥ - ١٠ قمحات) أو غيره

للوقاية - (١) تطهر جميع مواد البراز والبول وغيرها بوضع مثل الفنيك عليها بنسبة ٥ في المئة لمدة ساعتين على الاقل قبل القائها في المراحيض
(٢) يغلى كل ما يستعمله المريض من ملابس وفرش وأواني وغيرها مدة نصف ساعة على الاقل

(٣) يجتنب إلقاء أي شيء مما يخرج من المريض أو يمسه في مجاري ماء الشرب أو تركه مكشوقا بحيث ينقله الذباب أو الريح ، بل يجب تغطية أواني البراز أو البول بخرقة مغمسة بمحلول الفنيك - بنسبة ٥ في المئة أيضا - منعا لانتقال الميكروب بواسطة الذباب الى أهل المنزل

(٤) يجب غسل يدي كل من خالط هذا المريض بالماء والصابون ثم بمحلول السلياني ١ في ١٠٠٠ أو بمحلول الفنيك أو بالغول (الكحول) النقي بوضعها فيه خمس دقائق قبل أن يمسه أي شيء من طعامه

(٥) في وقت انتشار هذا الوباء يجب غلي كل طعام وشراب . وأحسن طريقة لتطهير الخبز ونحوه امراره في لهب الكحول أو وضعه على الفحم الملتهب ، وينبغي أيضا الامتناع عن أكل الخضر كالفجل والجرجير والفاكهة الا اذا غسلت جيدا بالماء الغالي وأزيلت قشورها وكذلك يجب اجتناب أكل الحيوانات البحرية المذكورة سابقا واللبن المثلوج

(٦) يلقح السليم بالحقن تحت الجلد بميكروب الحمى التيفودية بعد قتله ، وذلك بأن يربنى ميكروب التيفود لمدة ٤٢ ساعة ثم يوضع في محلول ملح الطعام ١ في ١٠٠

ويقتل بعد ذلك بـ ٥٣ ساعة و ٥٣ دقيقة من رفع الحرارة أكثر من ذلك لأنها تفسد مادة التطعيم، ويحقن المريض مرتين بينهما فترة عشرة أيام. وعدد الميكروبات التي يجب أن تحقن في المرة الأولى نحو ٥٠٠ مليون وفي الثانية نحو ١٠٠٠ مليون، ويوصي بعضهم بحقنة ثالثة من ٢٠٠٠ مليون. وللحقن في زمن انتشار الوباء عيب وهو أن القابلية للمرض تزداد بعد الحقن لمدة قصيرة فيكون الإنسان فيها عرضة للإصابة. وأحسن الأوقات للحقن ما كان قبل قيام المسافر ونحوه إلى مكان الوباء بـ بضعة أيام

(٧) تطهر الأواني إذا تمسرت عليها بمحلول حامض الكبريتيك — بنسبة ٢ في المئة — ومزيتها أن الآثار التي تبقى منه لا تضر صحة الإنسان مطلقاً بل إن طعمه الحمضي مما يحرض شهوة الطعام ويعين على الهضم

(٨) لا يجوز للناقلين التبول أو التغوط في الطرقات، ولذا يجب تقصير الثياب وخلع المرء نعليه عند دخوله حجرات منزله. ولا يخفى أن من آداب الإسلام تقصير الثياب فإن في اطالتها اسرافاً وخيلاً وضراً عالياً

(٩) تتقى مخالطة الناقلين مدة ثلاثة أشهر على الأقل أو إلى أن يظهر البحث البكتيريولوجي طهارتهم من الميكروبات تماماً بعد عمله عدة مرات متباعدة والا يجب منعهم عن مس أي طعام أو شراب وتطهير أيديهم وملابسهم وفرشهم أو مفرزاتهم دائماً وغلي كل طعام أو شراب مسوه قبل تناوله

طريقة فيدال لتشخيص الجليات

Widal's Test

هذه الطريقة مبنية على أن مصل دم المرضى بالتيفود يبطل حركة ميكروباته في بضع دقائق ثم يتراكم بعضها على بعض فيتكون منها أكوام وذلك ما يسمى بالافرجمية [Agglutination] وهي كلمة لاتينية معناها الحرفي (التفريغ) لأن الميكروبات في اجتماعها تكون كأنها غريت بعضها ببعض بعد أن بطلت حركتها، والاحسن أن نسمي ذلك (بالارتكام) والميكروبات في هذه الحالة لا تكون

ميتة كما يتوهم بعض الناس . وملخص هذه الطريقة عملاً أن يؤخذ جزء من دم المريض في أنبوبة دقيقة مطهرة ، ثم تمزج نقطة من مصله بجزء أكبر من السائل الذي ربي فيه الميكروب بنسب مخصوصة أفضلها ما كان (من ١ الى ٣٠) وينظر اليه بالميكروسكوب بطريقة (النقطة المعلقة) فبعد نصف ساعة أو ساعة لا يشاهد غالباً ميكروب واحد منفرداً ، وقد فسر العلماء ذلك بعدة تفاسير لا حاجة لذكرها لان الحقيقة مجهولة ، وهذه الطريقة لا تنجح الا بعد مضي بضعة أيام من المرض ، والاحسن أن يؤخذ الدم بعد الاسبوع الاول ، وفي بعض الاحوال لا تنجح مطلقاً وتكون الحُمى حينئذ شديدة وعميقة ، وفي البعض الآخر يستمر نجاحها لعدة أشهر بعد انتهاء المرض . وهي تستعمل في الحيات الاخرى التي عرف ميكروبها باليقين كالحمى المالطية ، ويؤخذ الدم من شحمة الاذن أو الاصبع بالوخز بآبرة أو نحوها ولا يتعين استعمال المصل في طريقة فيدال هذه ، بل يجوز أن تعمل بدم متجمد فيذاب بقليل من الماء المقطر ويستعمل كالمصل ، ويجوز أيضاً استعمال الميكروب الميت فإنه يتراكم أيضاً وكذلك الميكروبات غير المتحركة

الحُمى الباراتفودية Para-typhoid

كلمة [بارا] يونانية معناها « قرية » لان هذه الحُمى تقرب جداً من التيفودية في أعراضها وسيرها بل في جميع مميزاتا تقريباً غير أنها تكون عادة أخف وطأة وأقصر مدة ، والبطن يكون — في النوع الاول منها — غالباً معتقلاً ، وهي غير مميتة إلا نادراً . وتنتشر أحياناً بشكل وبائي ، وقد تحصل في جميع بقاع الارض . وأهم الاسباب في انتشارها الماء الملوث وميكروبها كميكرروب الحُمى التيفودية الا في بعض أشياء قليلة من الوجهة البكتريولوجية . أما في الشكل والحركة فهما سيان . وهذا الميكروب لا يتراكم بمصل دم الحُمى التيفودية . وهو نوعان: النوع الاول يسمى (أ) والثاني (ب) أما (أ) فإنه أشد شَبهاً بميكروب التيفود ، وأما (ب) فإنه أضر . وإذا مات الشخص بسبب هذه الحُمى كان غالباً مصاباً بميكروب (ب) وقد تنفخ أمعاء المصاب بسبب تفرح اللغائف ولكن تكون بقع باير سليمة وفي بعض

الحالات لا يوجد شيء في الامعاء ، وفي اصابة واحدة شوهدت ضخامة غدد المساريقا ، وفي كثير من الاصابات يكبر الطحال أما المعالجة والوقاية فهي كالتيفودية سواء بسواء . وهذه الحمى تقي من أصيب بها من مثلها ولا تقي من التيفود

الحُمى المالطية Malta Fever

تسمى هذه الحمى أيضا بحُمى البحر الأبيض المتوسط لأنها كثيرة الحصول في شواطئه وفي جزائره ولكنها توجد أيضا في جنوب أفريقية والهند والصين وغير ذلك

الاعراض — طور التفريخ يتراوح بين بضعة أيام و٣ أو ٤ أسابيع . وتبتدى الاعراض تدريجيا كما في الحمى التيفودية ولكن لا يظهر فيها طفح ويكون البطن ممسكاً ولا تنقرح فيه بقع (باير) ولا تضخم . والوفيات فيها قليلة (نحو ٢ في المئة) ولكنها تطول جدا فقد تمتد الى ٩ أشهر، ويشفى منها المريض بالتدريج ويصير ضعيفا أصفر اللون وقد تلتهب مفاصله أو خصيتاه

أسبابها — لهذه الحمى ميكروب من النوع البرزي وهو لا حركة له ولا أهداب (وان ادعى بعض الباحثين أن له أهدابا) أما ما يشاهد فيه من الحركة فهي حركة برون [Brown] وهو اسم امرئ نباتي يسمى (روبرت برون) شاهدا في قطرات الندى ولكنها ظاهرة طبيعية يمكن مشاهدتها في كل سائل فيه ذرات دقيقة فتتهز هذه الذرات مع حركة رطوبة قليلة حول نقطة معينة، وسببها اختلاف درجة الحرارة في السائل بالتبخر القليل الذي يحصل من سطحه

وأعظم ما ينقل ميكروب هذه الحمى الى الانسان هو لبن المزمز فان المزمز تصاب كثيرا بهذا الميكروب في جزائر البحر الأبيض وفي جنوب أفريقية وغيرها بدون أن يظهر فيها عرض مّا لهذا المرض (إلا ضعفا في بعضها أو التهابا في ضرعها) ولكنها تفرز في لبنها كثيرا من هذا الميكروب

وللوقاية منه يجب اجتناب أكل أو شرب هذا اللبن أو ما يصنع منه كالزبدة أو

الجبن الحالوم الا اذا كان اللبن غلي قبل صنع الجبن منه. ويجوز أن يدخل الميكروب من جرح بالجلد اذا مسه هذا اللبن أو ينتقل بواسطة الحشرات الماصة للدم كالبعوض مثلا فان الميكروب يعيش في جسمه أربعة أيام أو خمسة وهذه الحمى تصيب الذكر والانثى على السواء تقريبا وهي أكثر حدوثا في سن الشباب منها في الكبر ويكثر حصولها في أيام الحر

الدفتيريا Diphtheria

الدفتيريا كلمة يونانية معناها الغشاء ، وهي عبارة عن مرض معد رديء ، أهم مميزاته أنه يصيب الأغشية المخاطية للحنك أو الحلق أو الأنف أو الحنجرة أو غير ذلك فيتكون غشاء أبيض فوق هذه الأجزاء الملتهبة ، وقد يصيب هذا الغشاء أيضا سحجات الجلد أو جروحه

واذا أصاب اللتحة (غشاء العين) أتلها في ٢٤ ساعة

الاسباب — هذا المرض يصيب الاطفال خصوصا بين السنة الثانية والعاشره أو الثانية عشرة ويندر حصوله لغيرهم . وهو ينتشر بالهواء لمسافات قصيرة. ويخرج الميكروب في افرازات المصاب أثناء عطاسه أو سعاله مثلا ، أما نفسه الهادي فلا يضر . ويعيش ميكروب الدفتيريا مدة طويلة اذا سكن في طيات الثياب وهي مما ينقله الى مسافات أبعد من مسافة انتقاله في الهواء. ويعدي هذا المرض حتى في مبدئه قبل أن تظهر جميع أعراضه . ورطوبة المنازل والأهوية الفاسدة مهيئات له ، وكذلك أمراض الحلق كالتهاب اللوزتين . وقد ينتقل الميكروب بالطعام أيضا الى مسافات بعيدة. وتصاب بعض الحيوانات به خصوصا القطط والبقر فيعدي لبنها حينئذ إذا لم يغلب؛ ويصاب الحمام والدجاج والخيل والغنم بمرض يشبهه. والقول الراجح عند العلماء الآن ان مرض هذه الحيوانات المذكورة أخيرا لا علاقة له بمرض الانسان ولا ينتقل اليه، ولكن لاختلاف بينهم في اصابة القطط والبقر به فتظهر بشور وقروح دفتيرية في ضروعها . والفيران لا تصاب به، أما تلك الحيوانات الداجنة التي لا تصاب به فقد تلوث بميكروب دفتيريا الانسان وتكون كحامل الامراض فتقله من مكان الى آخر ومن انسان الى انسان

[المنار : ج ٩ م ١٨]

أسباب الدفتيريا

٦٨٣

ويرى بعض العلماء أن ميكروبها يعيش مدة طويلة في الطين، والهواء المحتبس في جوف الأرض يخرج منه إذا ارتفعت مياهها — كما سبق — ويكثر هذا المرض في فصلي الخريف والشتاء وهو الزمن الذي تكثر فيه القرمزية والتهاب الحلق أو الخنجر أو اللوزتين

ومجوز أن يعود المرض للمرضى بعد شفائه . وميكروب هذا المرض يوجد في الطبقات العليا للأغشية المذكورة، وإذا طال المرض وجد في الرئة والطحال والكلى بل ربما وجد في الدم أيضا . وهو من الشكل الباسيلي اكتشفه كل من [كلبز Klebs] سنة ١٨٨٣ [ولفلر Loeffler] سنة ١٨٨٤ وهما عالمان من علماء الألمان . وطول هذا الميكروب يختلف من ٣ إلى ٤ ميكرون ، وهو غير متحرك ولا حبيبات له بل يتكاثر بالانقسام، ويعيش في الهواء ولكنه يمكنه أن يعيش في غير الهواء حتى في الفراغ ، ويبقى في السوائل المغذية وغيرها من المزاج مدة شهر وإذا جفف عاش ٣ أو ٤ أسابيع ويقف نموه إذا زادت الحرارة عن ٤٠° أو نقصت عن ٢٠° ستجrad وإذا شفي المصاب وجد الميكروب في حلقه في نصف عدد الناقين لمدة ٣ أيام وفي أحوال قليلة يبقى ٣ أسابيع وقد يستمر إلى ٥ أشهر بل ١٥ شهرا . ومن ذلك يعلم خطر الأسراع في خلط المصاب بغيره من الأطفال قبل مضي مدة طويلة . والأفضل أن يفحص حلق الطفل أو أي موضع آخر للإصابة مرتين أو ثلاثا فحصا بكتيريولوجيا بأخذ جزء من إفرازاته فإذا لم يوجد الميكروب بعد الفحص مرتين أو ثلاث مرات متفرقة يؤذن للطفل بأن يختلط بغيره

ومن يختلط بالمصاب أناس (٨ — ٣٠ ٪) أصحاء يحملون الميكروب في حلقهم وأفواههم (١) لغيرهم ويتقون أصحاء ولكن بعد زمن يصبح ميكروبهم غير خطر غالبا على غيرهم لفقده قواه السامة ، ويسمى الأطباء مثل هؤلاء الناس بالحملة الأصحاء . ويرى بعض العلماء أن باسيل هوفمان [Hofmann] الكاذب الذي يوجد أحيانا في حلق الأصحاء وأنوفهم قد ينقلب فيصير صادقا أي محدثا للدفتيريا الحقيقية

(١) خصوصا في أسنانهم لاسيما إذا كانت مصابة بداء ريج (راجع ص ٦٨ من الجزء الأول) وهو الذي يحدث سيلان قيح من اللسان (الحفرة التي فيها السن)

الاعراض — مدة التفريخ تختلف من يومين الى ستة أيام، وقد تكون يوماً أو ثمانية. ويتبدى المرض بالإقياء وبسامة وصداع أو بفتيان وفي موعدة ثم لا يلبث المريض أن يشتكي من ألم في الحلق. فاذا نظر الى حلقه في هذا الوقت شوهد احمرار فيه وفي اللهاة وانتفاخ، أو احمرار والتهاب في اللوزتين. وبعد وقت قصير يرى الغشاء يتكون على سطح الأغشية الملتهبة وقد يظهر في وقت واحد على اللوزتين معاً، وقد يبدأ بواحدة منهما قبل الأخرى، ومن الجائز أن يظهر على غيرها من أجزاء الحلق. وبسبب هذا الالتهاب تلتهم بعض الغدد اللعابية التي في العنق^(١) وقد يحدث من ذلك خراج فيها أو تموت الغدد وتسقط

وحرارة الدفتيريا لانظام لها فقد يزيد عن ٤٠° ولكن الأغلب أنها تكون أقل من ذلك، وهذا الارتفاع تصعبه الأعراض الأخرى للحمى. وفي كثير من الإصابات يشتمل البول على زلال في وقت اشتداد المرض. أما اذا أصابت الأنف فيعسر التنفس منه وينتفخ غشائه المخاطي ويسيل منه مخاط وقيح أو دم وصديد فيتقرح بذلك جانباً الأنف وما جاورها من الشفة. وخطر الالتهاب الأنفي الغشائي نادر جداً ولا عواقب له، ويندر أن يصدي الآخرين ولو أن الميكروبات تكون فيه كثيرة كغيره

وإذا أصابت الدفتيريا الحنجرة (وهذا ما يسمى بالحنثاق) كثراً السعال وصار له صوت مخصوص وعسر التنفس وبج الصوت وكثيراً ما يشتد الضيق حتى يموت المريض وفي الأحوال الحنجرية يكون هذا الضيق غالباً هو السبب في الموت. وإذا عمل المريض فتح في القصبة الهوائية فقد يموت بسبب المضاعفات الرئوية أو الضعف العام مع شلل القلب

أما في الأحوال الحلقية فالموت فيها يكون بشلل القلب وهو يحصل بسرعة عجيبة المضاعفات — كثيرة منها التهابات الرئة والبلعور والالتهاب الكلوي والشلل

(١) إذا أصابت الحنجرة أو الحلق أو اللوزتين أو الحفر الأنفية التهابت لها الغدد العنقية العليا الغائرة، وإذا أصابت لثة الأسنان السفلى مثلاً أو مقدم اللسان (وذلك نادر) التهابت الغدد التي تحت الفك

[الناشر: ج ٩ م ١٨] علاج الدفتيريا والوقاية منها ٦٨٥

الدفتيري، وأهم أعراضه شلل في سقف الحلق الرخو فيرجع الماء وغيره من السوائل من الأنف ويصاب المريض بالحنّة أو الغثّة — وهي خروج صوته من أنفه — وتضعف رجلاه فلا يقوى على المشي طويلاً ولا القيام ويصاب بالحول لشلل بعض عضلات العين إلى غير ذلك من الأعراض التي تصيبه بسبب تأثير سم المرض في الأعصاب . وهذه الأعراض تبتدئ بعد الشفاء الظاهري بأيام أو أسابيع

المعالجة — يعزل المريض وتعطى له السوائل المغذية والمنعشات المنبهة للقلب فانه عرضة لان تحصل فيه استعالة شحمية . وتجب المبادرة إلى حقن المريض بمصل الدفتيريا وذلك من اختصاص الطبيب الذي يقدر الكمية المناسبة لحالة المريض ويجري عمل الحقن طبق الأصول الطبية

والمبادرة إلى حقن المريض من أوجب الواجبات لان التأخير يفسد خلايا الأعضاء وخصوصاً القلب حتى اذا عمل للمريض الحقن بعد ذلك لا ينفعه شيئاً . والمصل يبقى نافعاً مدة سنة على الأقل اذا لم تفتح زجاجاته وحفظ في مكان مظلم بارد ويظهر الحلق بطرق كثيرة ، ومن أحسنها استعمال أقراص (الفرمانت) [Formamint] لسهولة تعاطيها عند الاطفال واذا احتيج إلى تطهير أقوى ونزع تلك الاغشية من الحلق فالأولى أن يخذل الطفل بالكلورفورم لينظف حلقه تنظيفاً تاماً بغير اجهاد له

أما الشلل الذي يعقب المرض فانه يزول من نفسه في شهرين أو أربعة أشهر، ومما يعجل في شفائه الراحة والمقويات والكهرباء والاعذية الجيدة والهواء النقي

الوقاية — تعرف من الكلام على أسباب هذا المرض ، واذا حقن الطفل الذي اختلط بمريض وقته الحقنة لمدة ٣ أسابيع تقريباً . والكمية اللازمة للوقاية هي ٥٠٠ الى ١٠٠٠ وحدة . أما الوحدة وتسمى وحدة [اربنخ ^(١) Ehrlich] — وهو عالم ألماني يهودي — فهي الكمية التي اذا مزجت بمائة ضعف للكمية الكافية لقتل خنزير الهند البالغ وزنه ٢٥٠ جراماً في ٤ أيام وقته من الموت اذا حقنت تحت جلده

(١) توفي هذه السنة (١٩١٥ م) فجأة بينما هو يعمل في معمله

٦٨٦ سوء استعمال حقن المصل في الامراض [المنار: ج ٩ م ١٨]

سوء استعمال الحقن الواقي من الدفتيريا وغيرها

سبق قولنا انه اذا أصيب طفل بهذا المرض بقي الميكروب في حلقه مدة مختلفة بعد شفائه قد تمتد الى عدة شهور، فقد روى العلامة هبولت الانكليزي [Hewlett] حادثة وجود الميكروب في أحد المصابين بعد شفائه بخمسة عشر شهراً قالواجب اذا عزل المصاب عن غيره عزلاً تاماً وتطهير كل ملامسه أو خرج منه تطهيراً تاماً وعدم السماح له بالاختلاط بغيره الا بعد فحص حلقه فحصاً بكتيريولوجياً دقيقاً نحو ثلاث مرات متفرقات والتيقن من عدم وجود الميكروب أما الحقن بمصل الدفتيريا للوقاية فله عيب كبير. ذلك ان الوقاية به لا تتجاوز ثلاثة أسابيع، فاذا أصيب الطفل الذي عمل له هذا الحقن بمرض الدفتيريا بعد نهاية الثلاثة الأسابيع مثلاً وعالجناه من مرضه بالحقن فقد يصاب الطفل فوق مرضه بمرض آخر يسمى « مرض المصل » [Serum disease] أو « زيادة التأثير بالحقن » [Supersensitiveness] وهذا المرض كثيراً ما يكون خطراً ولعله أحد أسباب

كثرة المتوفين من الاطفال حتى بعد الحقن بمصل الدفتيريا وأعراضه هي : غثيان وقيء وضعف في النبض مع سرعته وإحساس بالضجر والاختناق وسرعة في التنفس مع ضيقته وهود (هبوط) وتشنجات بل وغيبوبة. وهذه الاعراض تزول عادة بعد ساعة أو ساعتين ولكنها قد تمتد الشخص خصوصاً بالاختناق لا تقباض الشعب الرئوية الصغيرة. هذا ولو كان الشخص المحقون مرتين سابقاً فما بالك اذا كان مصاباً مع هذه الاعراض بالدفتيريا فان الوفاة تكاد تكون محققة

والمراد بهذا المرض المذكور هنا هو غير ما يحدث من الحقن (نحو ٧٪) في نهاية الاسبوع الاول أو بعده مثل ظهور طفح متنوع الشكل وألم في المفاصل مع تورم فيها وحي خفيفة فان هذه الاعراض لا اهمية لها وتزول في نحو ثلاثة أيام ولا خطر منها عادة أما المرض الذي نحن بصددده فيحدث اذا حقن شخص مرة للوقاية مثلاً من الدفتيريا ثم مضت مدة بعد حقنه نحو ١٢ يوماً أو أكثر ثم عدنا الى الحقن مرة

ثانية. وقد يحدث هذا المرض حتى اذا كانت الفترة بين الحقنين أربع سنوات أو أكثر وهذا المرض لا ينشأ عن سم في المصل بل عن نفس المصل بحيث اذا حقن مصل أي حيوان سليم مرتين متفرقتين بتلك الفترة فقد يحدث هذا المرض . لذلك ولنيره لا يجوز معالجة النزف بالحقن بالمصل أو بالدم كما سبق في صفحة ٤٩ من الجزء الأول

ومن طرائق اتقاء المرض المذكور أن يحقن نوعان مختلفان من المصل أعني أن يحقن للوقاية مصل مستخرج من الثور مثلاً وللعلاج مصل آخر مستخرج من الحصان كما هو المعتاد . وكذلك استعمال لبنات الكالسيوم قبيل الحقن أو في أيام استعماله فان هذا الملح كثيراً ما يمنع هذه الاعراض الخطرة أو يخفف من وطأها بل قد يمنع الاعراض الاخرى المذكورة كالطفح وألم المفاصل وغيرها أيضاً . ومقدار هذا الملح في كل جرعة من ١٠ الى ٣٠ قعقة أي يختلف باختلاف السن وهو يذوب في الماء ويسهل امتصاصه في البنية واذا تعسر اعطاؤه من طريق الفم كما في الدفثيريا أذيب في الماء وحقن في الشرج أو أعطي مع اللبن فان المريض لا يشعر به ومن الطرق أيضاً لاتقاء تلك الاعراض التخدير العام بالاثير مثلاً وقت الحقن الثاني، ولكنها طريقة رديئة جداً وغير ميسورة في أكثر اصابات الاطفال خصوصاً اذا أصابت الدفثيريا حناجرهم

ويقال ان الحقن بالمصل الذي أزيل منه بعض المواد الزلالية الأولية [Proteins] يقلل التعرض للاصابة بتلك الاعراض . واعلم أن المصل الرقيق الذي لم يتكاثف بالتبخر أسهل امتصاصاً من الغليظ . هذا ولا يتوهم القارئ أني أنفر الناس من الحقن في الدفثيريا لعلاجها كلا ! ثم كلا ! بل الواجب المبادرة الى الحقن بالمصل المشتمل على وحدات كثيرة بحسب ما يراه الطبيب في الحالة^(١) وانما كلامي السابق هو لبيان مضار الحقن للوقاية لا للعلاج

(١) في أحوال الدفثيريا الشديدة أو التي تأخر علاجها يجب البدء بحقن ١٠٠٠٠ إلى ٣٠٠٠٠ وحدة (Units) ويتكرر الحقن كل ٦ أو ١٢ ساعة بحسب حالة المريض وسرعة انفصال الاغشية ، ولا يراعى في ذلك سن الطفل

وكذلك يجب حقن 'مضول أخرى كالمصل المضاد لسم البزور السلسلية اذا وجدت في الحلق بالبحث الميكروسكوبي أو عرفت بمثل الأعراض الآتية وهذه الميكروبات تصاحب ميكروب الدفثيريا في بعض الاحوال فتكون الحمى فيها شديدة ورائحة الحلق كريهة جداً . فان لم يعمل هذا الحقن أيضاً كان مصل الدفثيريا وحده غير واف بالفرض

الطاعون Plague

الطاعون — وقانا الله منه — داء اشتهر كثيرا حتى بين الامم الغابرة ، وكانوا يخشونه أشد خشية لشدة فتكه بهم وسرعة انتشاره بينهم . ومن أشهر أوبئته التي حدثت في أوربة ما حدث في عصر يوستنيانوس الروماني في القرن السادس بعد الميلاد الاسباب — هذا المرض ينشأ من ميكروب باسيل اكتشفه (كيتاساتو) (Kitasato) الياباني سنة ١٨٩٤ وهو يوجد أثناء حياة المريض في الدم وفي الغدد الملتهبة وفي البراز والبول وفي اللعاب اذا التهبت الرئة ، وبعد الموت يوجد في جميع أعضاء الجسم تقريبا . طول هذا الميكروب من ١ الى ١.٥ ميكرون وهو لاهييات له ولا حركة وان زعم بعضهم ان له أهداباً

ينتقل هذا الميكروب من شخص الى آخر بسرعة عظيمة ، خصوصا اذا ساءت الاحوال الصحية بالازدحام ونقص التهوية وزيادة القاذورات في الاماكن والملابس وغيرها . وهو يصيب الناس في جميع الاعمار الى سن الخمسين وبعد ذلك يقل كثيرا . والاصابة به مرة تحمي عادة من الاصابة ثانية . وشدة الحر تعوق سيره أكثر من البرد هذا المرض يصيب كثيرا من الحيوانات مثل القردة والقطط والجِرَذان (جمع جُرَذ وهو الفأر الكبير) أما الخيل والانعام فهي لاتصاب به الا قليلا وكذلك الطيور أهم مدخل لميكروب هذا المرض في الجسم طريقان : وهما طريق الرئة وطريق الجلد ، أما طريق المعدة أو الامعاء فهو من الندرة بمكان بحيث لا يستحق الذكر

وكيفية وصوله من طريق الرئة أن يستنشق الانسان مع الهواء الملوث به من نفثات المصاب بالطاعون الرئوي . أما طريق الجلد فهو من أعظم الطرق لنشر هذا

[المنار ج ٩ م ١٨] الفيران والبراغيث والطاعون ، أعراضه ٦٨٩

المرض ، ولايضاح ذلك نقول : ان الفيران كثيرا ما تصاب به وتموت. والفيران يأكل بعضها بعضا - كما سبق - فينتشر المرض بينها لهذا السبب وغيره. والفيران براغيث تنتقل منها الى الانسان فتلقحه بها وكذلك تلقح الفيران الاخرى ، وقد تلقح شخصا من شخص ولكنه نادر. واسم هذا النوع من البراغيث بالافرنجية [Pulex Cheopis] وهو أشهر أنواع البراغيث التي تعيش بدم الفيران في البلاد الحارة. ويتكاثر الميكروب في معدة البرغوث وأمعائه ويخرج في برازه فقط ، فاذا علق بمخروطومه ، ووخز به الانسان لقعه بالمرض ، وقد يتلوث مكان الوخز من الانسان ببراز البرغوث الذي فيه كثير من ميكروبات الطاعون . ويبقى البرغوث قادرا على التلقيح لمدة تتراوح بين سبعة أيام و ١٥ يوما . وقد ينقل البق أيضا ميكروب الطاعون . ويحتمل أيضا أن يدخل الميكروب من بعض الجروح والسحجات كما في الاقدام الخافية فان لم توقف الغدد اللمفاوية الميكروبات وصلت الى الدم وأحدثت نسيما عاما كما سيأتي

الاعراض - مدة التفريخ من يومين الى خمسة

ولهذا المرض ثلاثة أشكال شبيهة وهي : الطاعون الدملي والطاعون الدموي

والطاعون الرئوي

أما أعراض الشكل الاول - وهو أكثر حدوثا - فهي الاحساس بالضعف العام والكلل والصداع والدوار والرعدة التي يعقبها ارتفاع في الحرارة ، وفي بعض الاحوال يصاب المريض في هذا الطور بشيء من الدهول مع مشية كمشية النشوان وارتعاش في حديثه وقد يصاب بهيج ورعب لا يعرف سببه أو يصاب بالغثيان والقيء أو الاسهال

وتكون الحمى في هذا المرض عالية ويصاحبها باقي أعراض الحمى كجفاف اللسان واسوداده ، ثم يصير المرء في حالة تشبه المصاب بالتيفوس فيهذي كثيرا ثم تصيبه الغيبوبة وتكثر الاوساخ على الشفتين والاسنان ويضعف النبض وتبرد الاطراف ويقل البول بل قد لا يفرز مطلقا في بعض الاحوال المميتة ، وبعد يومين أو ثلاثة تضخم الغدد اللمفاوية في الاربية أو الابط أو العنق

٦٩٠ أشكال الطاعون وأعراضه وإنذاره [المنار: ج ٩ م ١٨]

والغالب أن تصاب الغدد في جهة واحدة وهي الأربية، وحجم الورم الناشئ من ذلك يكون كحجم بيضة الدجاجة ويصعبه ألم شديد . وإذا طالت حياة الممرء حصل له خراج في تلك الغدد في اليوم السابع عادة، وفي هذا الوقت قد تظهر دمايل في الجلد أو جهرات خصوصا في الاطراف السفلى أو الاليتين أو القفا. وفي الاحوال الشديدة جدا يحصل نزف تحت الجلد قليل الموت أو يكون النزف كنقط صغيرة كلدغ البراغيث وكلاهما قد يعم الجسم كله أو يكون ظاهرا حول الغدد الملتهبة . وقد يصاب الممرء أيضا بالرعاف أو النزف الرئوي أو المعدي أو المعوي

والموت يحصل عادة قبل اليوم السادس . والشفاء يبتدىء من اليوم السادس الى العاشر ولكن اذا تقيحت الغدد قد تطول مدة المرض بسبب المدة التي فيها أما أعراض الشكل الدموي فيصاب الممرء فجأة بأعراض الحمى البالغة، وقد يموت في ظرف ٢٤ ساعة لتسمم دمه . وفي هذا الشكل قد ترم الغدد قليلا ولكن لا تصل الى حجم النوع الاول مطلقا . ويسمى هذا النوع بالطاعون الصاعق فان المريض يصعق به فجأة فيغيب عن الوجود وترتفع حرارته فيموت سريعا أما أعراض الشكل الثالث فتبتدىء كالشكل الاول ولكن بعد يوم أو يومين تظهر الأعراض الرئوية فيسرع التنفس ويكثر السعال مع النفث الكثير المشوب بالدم ويزول النوم ويكثر الهيجان والهلذان ، ويموت المريض في ظرف ثلاثة أيام وتكون الرئة في هذا النوع مصابة بالتهابات متعددة في فصيصاتها

ولا توجد الخيرجلات (وهي التهاب الغدد اللمفاوية) عادة في هذا الشكل، وفيه يوجد الميكروب في القطع الملتهبة من الرئة وفي البصاق وهناك نوع آخر لا يهمننا كثيرا لقلته وفيه تكون الحمى قليلة والأعراض خفيفة بحيث يمكن للمريض أن يندو ويروح مدة من أيام مرضه . ويسمى هذا الضرب بالطاعون الجواني

الانذار — عدد الوفيات في هذا المرض كثير جدا فقد تصل الى ٥٠ ٪ بل الى ٨٠ ٪ والموت بين الجنس الابيض في الظروف الصحية الجيدة أقل منه في غير ذلك

المعالجة — تعالج الاعراض كل بما يناسبه حسب الاصول الطبية. وللطاعون مصل كصَل الدفتيريا^(١) يحقن منه في اليوم الاول ثلاثة مقادير كل منها خمسون سنتي مترا مكعبا تحت الجلد أو في الاوردة — وهو الافضل في الاحوال الشديدة — ويتكرر بعد ذلك حقن مقادير صغيرة بضعة أيام . ومن أحسن أنواع هذا المصل مصل [يرسين Yersin] ولكن فائدته ليست بكبيرة

الوقاية — تكون بأشياء كثيرة أهمها ما يأتي :

(١) عزل المصاب

(٢) النظافة التامة في كل شيء

(٣) ابادَة الفيران وأحسن طريقة لذلك أن تصطاد بالاشراك أو تسهم بالزرنينخ أو الفسفور ، أما اصطياها بالقطط فعيه أنها هي نفسها قد تصاب بالطاعون فتكون من العوامل الناشرة للمرض بدل المقللة له

(٤) تنظيف الملابس ليتقي وجود البراغيث فيها

(٥) ابادَة الحشرات الاخرى بقدر الامكان كالبق فانه قد ينقل الميكروب

من شخص الى آخر

(٦) يحقن الاصحاء مرتين اذا حصل الوباء بلفاح الطاعون وهو ميكرو به المقتول بالحرارة فتحصل المناعة بسرعة حتى لا يخشى كثيرا من حصول المرض قبلها

(٧) يطهر كل ما يوجد في غرفة المريض بالغلي أو الحرق أو غيرها ، وقتل الميكروب الذي يوجد في افرازاته بالأدوية المطهرة وبالحرق

(٨) لا يختلط المريض بالاصحاء الا بعد شهر من شفائه ، لان الميكروب قد وجد

في دم المَطعون بعد النقاهاة بثلاثة أسابيع

(٩) على الممرّض للمطعون بالنوع الرئوي أن يتكلم بالقطن المنفوش ليحول

دون وصول الميكروب الى رئته ثم يحرق القطن

(١٠) تسد شقوق وفروج المنازل لكيلا تأوي اليها الجرذان

(١١) وانما يختلف عنه بانه يستخرج من الحصان بعد حقنه بالميكروب المقتول

لا بسم منه مصفى

الخطب الدينية

٣

﴿ خطبة من خطب القاسمي في النهي عن الحلف بالله والطلاق ﴾

الحمد لله الذي خلق الخلق على الاطلاق . فاطر السموات والارض وباسط الارزاق . فسبحانه هو العلي الرزاق . لا تنفذ خزائنه بكثرة الانفاق . أحده واشكره . وأتوب اليه وأستغفره . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الخلاق ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد العالمين بالاتفاق . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة وسلاما دائمين الى يوم التلاق . وسلم تسليما . أما بعد أيها الناس عليكم بالتقوى فانها ترضي الملك الخلاق . واحذروا من ان تجعلوا الله عرضة لآيمانكم . فان ايمان الحنث يمحى بركة الارزاق ، واحذروا من الحلف بالطلاق . فانه يمين الفساق ، فمن حلف بغير الله فقد عظمه ، ومن عظم غير الله صار من أهل النفاق ، وخالف الكتاب والسنة ومن خالفهما فليس له في الآخرة من خلاق . فمن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « ألا ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا الا وأتم صادقون » وقال صلى الله عليه وسلم « من حلف بغير الله فقد أشرك » وقال صلى الله عليه وسلم « اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك وآت الذي هو خير » واعلموا ان من حنث في يمينه فعليه أداء الكفارة وهي عتق رقبة أو اطعام عشرة مساكين أو كسوتهم ، فان عجز فصوم ثلاثة أيام ، ولا يجب التتابع في الصيام ، ويكفي في الكسوة ثوب أو سراويل أو قميص ، يوزع من كل عشرة على المساكين الذين ورد فيهم التنصيص ، ومن طلق زوجته ثلاث تطليقات شرعيات غير بدعيات فلا تحمل له الا بنكاح جديد ، ومن أمسكها بعد الثلاث فقد خالف أمر الله المجيد ، وتعرض للوعيد الشديد ، ومن لعب

بالطلاق ، أو طلق امرأته من غير ما باس فقد تقض الميثاق ، فقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً فقام غضبان ثم قال اتلعبن بكتاب الله وأنا بين أظهركم ، وقال صلى الله عليه وسلم « ابغض الحلال الى الله الطلاق » وقال صلى الله عليه وسلم « ايما امرأة سألت زوجها طلاقاً في غير ما باس فغرام عليها رائحة الجنة » وقال تعالى (الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح باحسان) وقال تعالى (فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً) أي بالفراق ، فاتقوا الله عباد الله في النساء وحقوق الزوجية ، وقوموا من مكارم الاخلاق مع الاهل بالسنة النبوية ، فقد قال صلى الله عليه وسلم « خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لأهلي » واشكروا نعمة الله في الازواج أيها المؤمنون ، فقد قال تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

﴿ خطبة أخرى له في آداب الكسب والمعاش ﴾

الحمد لله الذي رفع السماء لعباده سقفاً مبنيّاً ومهد الارض بساطاً لهم وفراشاً . وكور الليل على النهار فجعل الليل لباساً وجعل النهار معاشاً . لينتشروا في ابتغاء فضله وينتفعوا به عن ضراعة الحاجات اتمعاشاً . وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي يصدر المؤمنون عن حوضه رواء بعد وردهم عليه عطاشاً . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا (؟) في نصرة دينه تشمراً وانكماشاً . أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله . واعلموا ان رب الارباب ، ومسبب الاسباب ، جعل الآخرة دار الثواب والعقاب . والدنيا دار التمهّل والاضطراب . والتشمير والاكتساب . وليس التشمير في الدنيا مقصوداً على المعاد دون المعاش . بل المعاش ذريعة الى المعاد ومعين عليه ، فالدنيا مزرعة الآخرة ، ومدرجة اليها ، والناس ثلاثة : رجل شغله معاشه عن معاده فهو من المالكين ، ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين . والاقترب الى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين . ولن ينال رتبة الاقتصاد ، من لم يلزم في طاب المعيشة

٦٩٤ خطبة في فضل الاخوة والصحبة والالفة [المنار : ج ٩ م ١٨]

منهج السداد ، ولم ينتهز من طلب الدنيا وسيلة الى الآخرة وذريعة ، ما لم يتأدب في طلبها بأداب الشريعة ، وقد ورد في فضل الكسب والحث عليه آيات وأخبار ، قال الله تعالى (ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم) وقال تعالى (فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) وقال صلى الله عليه وسلم ، « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء » وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله ، ومن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله ، ومن كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان » وقال عمر رضي الله عنه لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني ، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، ويجب على التاجر أن ينصح في المعاملة ، ويجب لأخيه ما يحب لنفسه ، ولا يحل له ان يثني على السلعة بما ليس فيها ، ولا يكتن من عيوبها وخفايا صفاتها شيئاً ، ولا يكتن في وزنها ومقدارها شيئاً . ومن خالف ذلك كان ظالماً غاشاً ، والغش حرام قال صلى الله عليه وسلم « من غشنا فليس منا » وقال تعالى (ويل للمطففين الذين اذا اکتالوا على الناس يستوفون » واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) وقال تعالى (وأوفوا الكيل اذا كنتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً) وعلى التاجر الرفق في التعامل والاحسان فيه ، قال صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء » وقال صلى الله عليه وسلم « من انظر معسراً أو ترك له اظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله » وقال تعالى (ان رحمة الله قريب من المحسنين)

﴿ خطبة له في فضل الاخوة والصحبة والالفة ﴾

الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولا وامتثانا ، والف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته اخوانا ، ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا أصدقاء وأخذانا ، وفي الآخرة رفقاء وخلانا ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المصطفى ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولاً وفعلاً وعدلاً واحساناً . أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله

واعلموا أن التعاب في الله تعالى والاخوة في دينه من أفضل القربات ، وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات، وقد ورد في فضل الاخوة آيات كريمات وأخبار عاليات. قال الله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) وقال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقال صلى الله عليه وسلم « المؤمن آلف مألوف ولا خير في من لا يآلف ولا يؤلف » وعنه صلى الله عليه وسلم « من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره ، وان ذكر أعانه » وعنه صلى الله عليه وسلم « مازار رجل رجلا في الله شوقا اليه ورغبة في لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة » واعلم أن لاختيك عليك في اخوته وصحبته حقوقا يجب الوفاء بها . فمنها حق في المال بأن تقوم بمحاجته من فضل مالك ، أو تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك ، وهذه رتبة الصديقين ، وحق في الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات مع البشاشة واظهار الفرح ، وحق على اللسان في السكوت عن عيوبه وفي ترك مماراته ، وفي النطق بالحجاب توددا اليه وتفقدا لاحواله ، وحق في العفو عن الزلات والهفوات ، وحق في الدعاء له في حياته ومماته كما يدعو لنفسه ، وحق في الوفاء والاخلاص ، وذلك بالثبات على الحب وادامته الى الموت معه ، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه ، وحق في التخفيف وترك التكلف والتكليف ، فلا يكلف أخاه ما يشق عليه ، بل يروح سره من مهماته وحاجاته ، وجملة حقوق المسلم أن تسلم عليه اذا لقيته ، ونجيبه اذا دعاك ، وتشمته اذا عطس ، وتعوده اذا مرض ، وتشهد جنازة اذا مات ، وتبر قسمه اذا أقسم عليك ، وتنصح له اذا استنصحك ، وتحفظه بظهر الغيب اذا غاب عنك ، وتحب له ما تحب لنفسك. وقال صلى الله عليه وسلم « لاتحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم الله » فاتركوا الضغائن من قلوبكم والاحقاد ، وتصالحوا على المحبة وسلامة الصدر والاثار وصدق الوداد ، وليعتذر كل منكم لاختيه عما فرط منه ، ليفوز برضاء الله عنه. وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم « رأس العقل بعد الدين التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر » وقال صلوات الله عليه لماذ « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الامانة وترك الخيانة، وحفظ الجار ورحمة اليتيم، ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح »

المعرفة بالله تعالى

بيّن ابن القيم في باب المعرفة من الجزء الثالث من (مدارج السالكين) الفرق بين المعرفة والعلم لغة وشرعا من خمسة وجوه ، ثم بين معناها في اصطلاح الصوفية وكلام أئمتهم فيها ، ثم شرح ما قاله شيخ الاسلام ابو اسماعيل الهروي فيها ، ونحن ننقل ما هو خاص بالتصوف ، أي ما بعد الفروق الخمسة وهذا نصه :

والفرق بين العلم والمعرفة عند أهل هذا الشأن ان المعرفة عندهم هو العلم الذي يقوم العالم بموجبه ومقتضاه ، فلا يطأقون المعرفة على مدلول العلم وحده ، بل لا يصفون بالمعرفة الا من كان عالما بالله وبالطريق الموصل اليه وبآفاتها وقواطعها ، وله حال مع الله ، فتشهد له بالمعرفة ، فالعارف عندهم من عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم صدق الله في معاملته ، ثم أخلص له في قصوده ونياته ، ثم انسلخ من أخلاقه الرديئة وآفاته ، ثم تظهر من أوساخه وأدرانته ومخالفاته ، ثم صبر على أحكام الله في نعمه وبلياته ، ثم دعا اليه على بصيرة بدينه وآياته ، ثم جرد الدعوة اليه وحده بما جاء به رسوله ، ولم يشبها بآراء الرجال وأذواقهم ، ومواجيدهم ومقاييسهم ومعقولاتهم ، ولم يزن بها ما جاء به الرسول عليه من الله أفضل صلواته . فهذا الذي يستحق اسم العارف على الحقيقة ، اذا سمي به غيره على الدعوى والاستعارة^(١)

وقد تكلموا على المعرفة بآثارها وشواهدھا فقال بعضهم : من امارات المعرفة بالله حصول الهيبة منه ، فمن ازدادت معرفته ازدادت هيئته — وقال أيضا — المعرفة توجب السكون فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته . وقال لي بعض أصحابنا : ما علامة المعرفة التي يشيرون اليها ؟ فقلت له : أنس القلب بالله . قال لي : علامتها ان يحسن بقرب قلبه من الله فيجده قريبا منه . وقال الشبلي : ليس لعارف علاقة^(٢) ولا لمحب شكوى ، ولا لعبد دعوى ، ولا لخائف قرار ، ولا لاحد من الله فرار . وهذا كلام جيد ، فان المعرفة الصحيحة تقطع من القلب العلائق كلها ، وتعلقه

(١) في ب « فاذا سمي به غيره فعلى الدعوى والاستعارة » (٢) في ب

بمعروفه فلا يبقى فيه علاقة بغيره ، ولا تمر به الملائق الا وهي مجتازة ، لا تمر مرور
استيطان . وقال أحمد بن عاصم : من كان بالله أعرف ، كان له أخوف . ويدل على
هذا قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) وقول النبي صلى الله عليه وسلم
« أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية » وقال آخر : من عرف الله تعالى ضاقت عليه
الدنيا بسعتها . وقال غيره : من عرف الله تعالى اتسع عليه كل ضيق . ولا تنافي
بين هذين الأمرين ، فانه يضيق عليه كل مكان لا يساعد فيه على شأنه ومطلوبه ،
ويتسع عليه ما ضاق على غيره ، لانه ليس فيه ولا هو مساكن له بقلبه ، فقلبه غير
محبوس فيه ، والاول في بداية المعرفة ، والثاني في نهايتها التي يصل اليها العبد .
وقال آخر : من عرف الله تعالى صفاته العيش فطابت له الحياة وهابه كل شيء
وذهب عنه خوف المخلوقين وأنس بالله . وقال غيره : من عرف الله قرت عينه بالله
وقرت به كل عين ، ومن لم يعرف الله تقطع قلبه على الدنيا حسرات ، ومن عرف
الله لم يبق له رغبة في سواه ، ومن ادعى معرفة الله وهو راغب في غيره كذبت
رغبته معرفته ، ومن عرف الله أحبه على قدر معرفته به وخافه ورجاه ، وتوكل عليه
وأناب اليه ولهج بذكره ، واشتاق الى لقائه واستعجيا منه ، وأجله وعظمه على قدر
معرفته به ، وعلامة العارف أن يكون قلبه مرآة اذا نظر فيها رأى فيها الغيب الذي
دعي الى الايمان به ، فعلى قدر جلاء تلك المرآة يتراءى له فيها الله سبحانه والدار
الآخرة والجنة والنار والملائكة والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما قيل :

اذا سكن الغديرُ على صفاء وجُنِبَ أن يحركه النسيم

بدت فيه السماء بلا امتراء كذاك الشمس تبدو والنجوم

كذاك قلوب أرباب التجلي يرى في صفوها الله العظيم

وهذه رؤية المثل^(١) الأعلى كما تقدم ، ومن علامات المعرفة أن يبدو لك

الشاهد ، وتفتي الشواهد ، وتنحل الملائق ، وتنقطع العوائق ، ويجلس بين يدي
الرب تعالى وتقوم وتضطجع على التأهب للقاءه ، كما يجلس الذي شد أحماله وأزمع

(١) في ن « المثل »

السفر على التأهب له ويقوم على ذلك ويضطلع عليه ، كما ينزل المسافر في المنزل فهو قائم وجالس ومضطجع على التأهب ، وقيل للجنيذ : ان أقواما يدعون المعرفة يقولون أنهم يصلون بترك الحركات من باب البر والتقوى . فقال الجنيذ : هذا قول أقوام تكلموا بإسقاط الاعمال ، وهو عندي عظيم ؛ والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا ، ان العارفين بالله أخذوا الاعمال عن الله والى الله رجعوا فيها ، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة الا أن يحال بيني وبينها ومن علامات العارف انه لا يطالب ولا يخاصم ولا يعاتب ولا يرى له على أحد فضلا ولا يرى له على أحد حقا ، ومن علاماته انه لا يأسف على فائت ولا يفرح بآت ، لانه ينظر الى الاشياء بعين الفناء والزوال ، لانها في الحقيقة كالظلال والخيال . وقال الجنيذ : لا يكون العارف عارفا حتى يكون كالارض بطاها البر والفاجر ، وكالسحاب يظل كل شيء ، وكالطير يسقي ما يحب وما لا يحب وقال يحيى ابن معاذ : يخرج العارف من الدنيا ولم يقض وطره من شيتين : بكاء على نفسه ، وثناؤ على ربه . وهذا من أحسن الكلام فانه يدل على معرفته بنفسه وعبوبه وآفاته ، وعلى معرفته بربه وكماله وجلاله ، فهو شديد الازراء على نفسه ، لهج بالثناء على ربه . وقال أبو يزيد : إنما نالوا المعرفة بتضييع ما لهم والوقوف مع ما له . يريد تضييع حظوظهم والوقوف مع حقوق الله سبحانه وتعالى فتغنيهم حقوقه عن حظوظهم

وقال آخر : لا يكون العارف عارفا حتى لو أعطي ملك سليمان لم يشغله عن الله طرفة عين . وهذا يحتاج الى شرح ، فان ما هو دون ذلك يشغل القلب لكن يكون اشتغاله بغير الله ، فذلك اشتغال به سبحانه لانه اذا اشتغل بغيره لاجله لم يشغل عنه ، قال ابن عطاء المعرفة على ثلاثة أركان : الهية والحياة والانس . وقيل لذي النون : بم عرفت الله ربك ؟ قال : عرفت ربي بربي ، ولولا ربي لما عرفت ربي . وقيل لعبد الله ابن المبارك : بماذا نعرف ربنا ؟ قال بانه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه . فأتى عبد الله باصل المعرفة التي لا يصح لأحد معرفة ولا إقرار بالله سبحانه الا به ، وهو المبينة والمعلو على العرش

[المزار : ج ٩ م ١٨] صفات العارف — ضلال الملاحدة في المعرفة ٦٩٩

ومن علامات العارف أن يعتزل الخلق بينه وبين الله حتى كأنهم أموات لا يملكون له ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً ، ويعتزل نفسه بينه وبين الخلق حتى يكون بينهم بلا نفس ، وهذا معنى قول من قال : العارف يقطع الطريق بخطوتين : خطوة عن نفسه وخطوة عن الخلق ؛ وقيل : العارف ابن وقته . وهذا من أحسن الكلام وأخصره ، فهو مشغول بوظيفة وقته عما مضى وصار في العدم وعما لم يدخل بعد في الوجود ، فهمه عمارة وقته الذي هو مادة حياته الباقية . ومن علاماته أنه مستأنس بربه مستوحش ممن يقطعه عنه ، ولهذا قيل : العارف من أنس بالله فأوحشه من الخلق وافترق إلى الله فأغناه عنهم ، وذل لله فأعزه فيهم ، وتواضع لله فرفعه بينهم ، واستغنى بالله فأحوجهم إليه . وقيل : العارف فوق ما يقول ، والعالم دون ما يقول . يعني أن العالم علمه أوسع من حاله وصفته ، والعارف حاله وصفته فوق كلامه وخبره ، وقال أبو سليمان الداراني : إن الله تعالى يفتح للعارف على فراشه ما لم يفتح له وهو قائم يصلي . وقال غيره : العارف تنطق المعرفة على قلبه وحاله وهو ساكت . وقال ذو النون : لكل شيء عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله

وقال بعضهم : رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين . وهذا كلام ظاهره منكر جداً يحتاج إلى شرح ، فالعارف لا يراي الخلق طلباً للمنزلة في قلبه ، وإنما يكون رياؤه نصيحة وإرشاداً وتعلماً ليقترى به ، فهو يدعو إلى الله بعلمه كما يدعو إليه بقوله ، فهو ينتفع بعمله وينفع به غيره ؛ وإخلاص المريد مقصور على نفسه ، فالعارف جمع بين الإخلاص والدعوة إلى الله ، فأخلاصه في قلبه ، وهو يظهر عمله وحاله ليقترى به ، والعارف ينفع بسكوته والعالم إنما ينفع بكلامه * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق *

وقال ذو النون : الزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين . وسئل الجنيد عن العارف فقال : لون الماء لون إنائه . وهذه كلمة رمز بها إلى حقيقة العبودية ، وهو أن يتلون بتلون أقسام العبودية ، فبينا تراه مصلياً إذ رأته ذاكراً أو قارئاً أو معلماً أو متعلماً أو مجاهداً أو حاجباً أو مساعداً للضعيف أو مفنياً للملوف ، فيضرب في كل غنيمة من

الغنائم بسهم ، فهو مع المتسبيين متسبب ، ومع المتعلمين متعلم ، ومع الغزاة غاز ، ومع المصلين مصل ، ومع المتصدقين متصدق ؛ فهو يتنقل في منازل العبودية من عبودية الى عبودية . وهو مقيم على معبود واحد لا ينتقل عنه الى غيره

وقال يحيى بن معاذ : العارف كائن بائن . وهذا يفسر على وجوه (منها) انه كائن مع الخلق بظاهره بائن عنهم بسره وقلبه و (منها) انه كائن بربه بائن عن نفسه و (منها) انه كائن مع أبناء الآخرة بائن عن أبناء الدنيا و (منها) انه كائن مع الله بموافقته بائن عن الناس في مخالفته و (منها) انه داخل في الاشياء خارج منها ، فان من الناس من هو داخل فيها لا يقدر على الخروج منها ، ومنهم من هو خارج عنها لا يقدر على الدخول فيها ، والعارف داخل فيها خارج منها . ولعل هذا أحسن الوجوه وقال ذو النون : « علامة العارف ثلاثة : لا يطفى نور معرفته نور ورعه ، ولا يعتقد باطنا من العلم ينقضه عليه ظاهر من الحكم ، ولا تحمله كثرة نعم الله على هتك أستار محارم الله » وهذا من أحسن الكلام الذي قيل في المعرفة وهو محتاج الى شرح ، فان كثيرا من الناس يرى أن التورع عن الاشياء من قلة المعرفة ، فان المعرفة متسعة الاكثاف واسعة الأرجاء ، فالعارف واسع موسع ، والسعة تطفى نور الورع ، فالعارف لا تنقص معرفته ورعه ، ولا يخالف ورعه معرفته . كما قال بعضهم (١) العارف لا ينكر منكرا ، لا استبصاره بسر الله في القدر ، فعنده ان مشاهدة القدر والحقيقة الكونية هو غاية المعرفة ، واذ شاهد الحقيقة عذر الخليفة ، لأنهم مأسورون في قبضة القدر . فمن يعذر أصحاب الكبائر والجرائم ، بل أرباب الكفر فهو أبعد خلق الله عن الورع ، بل ظلام معرفته قد أطفأ نور ايمانه

قوله : (٢) باطن العلم الذي ينقضه ظاهر الحكم — فانه يشير به الى ما عليه المنحرفون ممن ينسب الى السلوك ، فانهم يقع لهم أذواق ومواجيد وواردات تخالف الحكم الشرعي ، وتكون تلك معلومة لهم لا يمكنهم جحدها فيعتقدونها ويتركون

(١) كتب في هامش الاصل « قوله بعضهم أي الملاحدة القائلين بوحدة

الوجود أعاذنا الله من الزيغ والضللال » (٢) أي ذو النون

ظاهر الحكم ، وهذا كثير جدا ، وهو الذي فناء أئمة الطريق على هؤلاء وصاحوا بهم من كل ناحية ، وبدعواهم وضللوهم به ، قوله ^(١) « ولا تحمله كثرة نعم الله على هتك محارم الله » كثرة النعم تطغي العبد وتحمله دلى أن يصرفها في وجوها وغير وجوها ، وهي تدعو الى أن يتناول العبد بها ما حل وما لا يحل ، وأكثر المنعم عليهم لا يقتصرون في صرف النعمة دلى القدر الحلال بل يتعداه ^(٢) الى غيره وتسول له نفسه ان معرفته بالله ترد عليه ما انتهت منه أيدي الشهوات والمخالفات ، ويقول : العارف لا تضره الذنوب كما تضر الجاهل . وربما يسول له أن ذنوبه خير من طاعات الجاهل ، وهذا من أعظم المكر . والامر بضد ذلك ، فيستعمل من الجاهل ما لا يحتمل من العارف ، وإذا عوقب الجاهل ضعفا عوقب العارف ضعفين ، وقد دل على هذا شرع الله وقدره ، ولهذا كانت عقوبة الحر في الحدود مثلي عقوبة العبد ، وقال تعالى في نساء النبي صلى الله عليه وسلم (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) فإذا كملت النعمة على العبد فقابلها بالاساءة والعصيان كانت عقوبته أعظم فدرجته أعلى وعقوبته أشد

وقال أيضا ^(١) ليس بعارف من وصف المعرفة عند أبناء الآخرة فكيف عند أبناء الدنيا ؟ يريد انه ليس من المعرفة وصف المعرفة لغير أهلها سواء كانوا عباداً أو من أبناء الدنيا وقال أبو سعيد : المعرفة تأتي من عين الوجود ^(٢) وبذل الجهود . وهذا كلام حسن يشير الى أن المعرفة ثمرة بذل الجهود في الاعمال ، وتحقيق الوجود في الأحوال ، فهي ثمرة عمل الجوارح ، وحال القلب لا ينال بمجرد العلم والبحث ، فمن ليس له عمل ولا حال فلا معرفة له ، وسئل ذوالنون عن العارف فقال : كان هاهنا فذهب . فسئل الجنيد عما أراد بكلامه هذا فقال : لا يحصره حال عن حال ، ولا يحجبه منزل عن التنقل في المنازل ، فهو مع كل أهل منزل بمثل الذي هم فيه ، يجد مثل الذي يجدون ، وينطق بمعالمها لينتفعوا ، وقال محمد بن الفضل : المعرفة حياة القلب مع الله . وسئل أبو سعيد : هل يصل العارف الى حال يجفو عليه البكاء ؟ فقال : نعم ! أما البكاء

(١) مقتضى ما قبله ان يقول : يتعدونه — أو : يتعداه أحدهم الخ اي ذوالنون

(٢) كتب في هامش الاصل « لعله الجود »

٧٠٢ الدرجة الأولى للمعرفة. الفرق بين النعت والصفة [المنار : ج ٩ م ١٨]

في أوقات سيرهم الى الله فاذا نزلوا بحقائق القرب وذاقوا طعم الوصول من بره زال عنهم ذلك ، وقال بعض السلف : نوم العارف يقظة ، وأنفاسه تسبيح ، ونوم العارف أفضل من صلاة الغافل . أما كان نوم العارف يقظة لان قلبه حي فعيناه تنامان وروحه ساجدة تحت العرش بين يدي ربها وفطرها ، جسده في الفراش ، وقلبه حول العرش ، وإنما كان نومه أفضل من صلاة الغافل لأن بدن الغافل واقف في الصلاة وقلبه يسبح في حشوش الدنيا والاماني ، ولذلك كانت يقظته نوم لان قلبه موات ، وقيل : مجالسة العارف تدعوك من ست الى ست : من الشك الى اليقين ، ومن الرياء الى الاخلاص ، ومن الغفلة الى الذكر ، ومن الرغبة في الدنيا الى الرغبة في الآخرة ، ومن الكبر الى التواضع ، ومن سوء الطوية الى النصيحة

فصل

قال صاحب المنازل ﴿ المعرفة على ثلاث درجات ، واخلق فيها على ثلاث فرق : الدرجة الأولى معرفة الصفات والنموت ، وقد وردت أساميها بالرسالة ، وظهرت شواهدا في الصنعة ، بتبصر^(١) النور القائم في السر ، وطيب حياة العقل لزرع الفكر ، وحياة القلب بحسن النظر بين التعظيم وحسن الاعتبار ، وهي معرفة العامة التي لا تنعقد شرائط اليقين الا بها ، وهي على ثلاثة أركان : اثبات الصفات باسمها من غير تشبيه ، ونفي التشبيه عنها من غير تمطيل ، والاياس من إدراك كنهها وابتغاء تأويلها ﴾

قلت : الفرق بين الصفة والنعت من وجوه ثلاثة (أحدها) ان النعت يكون بالأفعال التي تتجدد كقوله تعالى (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يفتي الليل النهار — وقوله — الذي جعل لكم الارض مهديا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون * والذي نزل من السماء ماء بقدر أن نشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون * والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم

(١) في المتن « بتبصير »

[المنازل: ج ٩ م ١٨] الإيمان بالصفات شرط المعرفة وأساس العقيدة ٧٠٣

من الفلك والانعام ماتركبون) ونظائر ذلك . والصفة هي الأمور الثابتة اللازمة للذات كقوله تعالى (هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة، هو الرحمن الرحيم * هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) ونظائر ذلك

(الفرق الثاني) ان الصفات الذاتية لا يطلق عليها اسم النعوت كالوجه واليدين والقدم والاصابع وتسمى صفات ، وقد أطلق عليها السلف هذا الاسم، وكذلك متكلمو أهل الاثبات سموها صفات، وأنكر بعضهم هذه التسمية كابي الوفاء ابن عقيل وغيره ، وقال: لا ينبغي أن يقال نصوص الصفات . بل: آيات الاضافات ، لان الحلي لا يوصف بيده ولا بوجهه ، فان ذلك هو الموصوف ، فكيف تسمى صفة ؟ وأيضا فالصفة معنى يعم الموصوف فلا يكون الوجه واليد صفة . والتحقيق ان هذا نزاع لفظي في تسميته ، فالقصد إطلاق هذه الاضافات عليه سبحانه ونسبتها اليه والاخبار عنه بها منزهة عن التمثيل والتعطيل ، سواء سميت صفات أو لم تسم

(الفرق الثالث) ان النعوت ما يظهر من الصفات ويشتهر ويعرفه الخاص والعام ، والصفات أعم ، فالفرق بين النعت والصفة فرق ما بين الخاص والعام ، ومنه قولهم في تحلية الشيء : نعتة كذا وكذا — لما يظهر من صفاته ، وقيل : هما لغتان لا فرق بينهما . ولهذا يقول نحاة البصرة « باب الصفة » ويقول نحاة الكوفة « باب النعت » والمراد واحد والامر قريب ونحن في غير هذا

فلنرجع الى المقصود وهو انه لا يستقر للعبد قدم في المعرفة بل ولا في الايمان حتى يؤمن بصفات الرب جل جلاله ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه ، فالإيمان بالصفات وتعرفها هو أساس الاسلام وقاعدة الايمان وشجرة ثمرة الاحسان، فمن جحد الصفات فقد هدم أساس الاسلام والايمان وثمره شجرة الاحسان ، فضلا عن أن يكون من أهل العرفان ، وقد جعل الله سبحانه منكر صفاته مسيء الظن به ، وتوعده بما لم يتوعد به غيره من أهل الشرك والكفر والكبائر فقال تعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ، ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون * وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فاصبحتم

٧٠٤ جحد المعطلة من الجهمية وأرباب الشهوات [المنار: ج ٩ م ١٨]

من الخاسرين) فاخبر سبحانه ان إنكارهم هذه الصفة من صفاته من سوء ظنهم به، وأنه هو الذي أهلكهم، وقد قال في الظانين به ظن السوء (عليهم دائرة السوء) وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وسائط مصيرا) ولم يجي مثل هذا الوعيد في غير من ظن السوء به سبحانه. وجحد صفاته وانكار حقائق أسمائه من أعظم ظن السوء به ولما كان أحب الأشياء إليه حمده ومدحه والثناء عليه بأسمائه وصفاته وأفعاله كان إنكارها وجحدها أعظم الإلحاد والكفر به وهو شر من الشرك، فالمعطل شر من المشرك، فإنه لا يستوي جحد صفات الملك وحقيقة ملكه والطعن في أوصافه هو والتشريك بينه وبين غيره في الملك، فالمعطلون أعداء الرسل بالذات، بل كل شرك في العالم فأصله التعطيل، فإنه لولا تعطيل كاله أو بعضه وظن السوء به لما أشرك به، كما قال امام الخفاء وأهل التوحيد لقومه (أفكأ آلهة دون الله تريدون؟ * فما ظنكم برب العالمين؟) أي فما ظنكم به أن يجازيكم وقد عبدتم معه غيره؟ وما الذي ظنتم به حتى جعلتم معه شركاء؟ أظنتم انه يحتاج الى الشركاء والاعوان؟ أم ظنتم انه يخفى عليه أحوال عبادته حتى يحتاج الى شركاء تعرفه بها كالمملوك؟ أم لا يقدر وحده على استقلاله بتدبيرهم وقضاء حوائجهم؟ أم هو قاس فيحتاج الى شفعاء يستعطفونه على عبادته؟ أم ذليل فيحتاج الى ولي يتكثر به من القلة، ويتعزز به من الذلة؟ أم يحتاج الى الولد فيتخذ صاحبة يكون الولد منها ومنه؟ تعالى الله عن ذلك كله علواً كبيراً. والمقصود ان التعطيل مبدأ الشرك وأساسه، فلا تجدد معطلا الا وشركه على حسب تعطيله، فمستقل ومستكثر.

فصل

والرسل من أولهم الى خاتمهم — صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين — أرسلوا بالدعوة الى الله وبيان الطريق الموصل اليه وبيان حال المدعوين بعد وصولهم اليه، فهذه القواعد الثلاث ضرورية في كل ملة على لسان كل رسول فعرّفوا الرب المدعو اليه بأسمائه وصفاته وأفعاله تعريفا مفصلا، حتى كأن العباد يشاهدونه سبحانه

(١) لعل الاصل «أوما» لأنه وجه آخر في تفسير الآية

[المنار: ج ٩ م ١٨] زعم الجهمية ان تسمية صفات الله بأسماء الاعضاء تشبيه ٧٠٥

وينظرون اليه فوق سماواته على عرشه يكلم ملائكته ويدبر أمر مملكته ، ويسمع أصوات خلقه ويرى أفعالهم وحركاتهم ويشاهد بواطنهم كما يشاهد ظواهرهم ، يأمر وينهى ، ويرضى ويغضب ، يحب ويسخط ، ويضحك من قنوطهم وقرب غيره ، ويجيب دعوة مضطرم ، ويفث ملهوفهم ويعين محتاجهم ، ويجبر كسبرهم ، ويفني قنبرهم ، ويميت ويحيي ، ويمنع ويعطي ، يؤتي الحكمة من يشاء^(١) وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء وينزل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، كل يوم هو في شأن ، يغفر ذنبا ، ويفرج كربا ، ويفك عانيا ، وينصر مظلوما ، ويقسم ظالما ، ويرحم مسكينا ، ويفث ملهوفًا ، ويسوق الاقدار الى موافقتها ، ويجريها على نظامها ، ويقدم ما يشاء تقديمه ، ويؤخر ما يشاء تأخيرها ، فأزمة الامور كلها بيده ، ومدار تدبير الممالك كلها عليه . وهذا مقصود الدعوة وزبدة الرسالة

(القاعدة الثانية) تعريفهم بالطريق الموصل اليه ، وهو صراطه المستقيم الذي نصبه لرسله وأتباعهم ، وهو امتثال أمره واجتناب نهيه والايان بوعده ووعيده

(القاعدة الثالثة) تعريف الحال بعد الوصول ، وهو ما تضمنه اليوم الآخر من الجنة والنار ، وما قبل ذلك من الحساب والحوض والميزان والصراط

فعمدت المعطلة والجهمية على رأس القاعدة الاولى فخالوا بين القلوب وبين معرفة ربها ، وسموا اثبات صفاته وعالوه فوق خلقه واستوائه على عرشه — تشبيهاً وتجبسماً وحشواً ، فنفروا عنه صبيان العقول ، وسموا نزوله الى سماء الدنيا ، وتكلمه بمشيئته ، ورضاه بعد غضبه وغضبه بعد رضاه ، وسمعه الحاضر لاصوات العباد ، ورؤيته المقارنة لافعالهم ونحو ذلك — حوادث ، وسموا وجهه الاعلى ويديه المبسوطتين وأصابعه التي يضع عليها الخلائق يوم القيامة — جوارح وأعضاء ، مكرها منهم كُبارا بالناس ، كمن يريد التنفير عن العسل فيمكر في العبارة ويقول : مائع أصفر يشبه العذرة المائعة . أو ينفر عن شيء مستحسن فيسميه بأقبح الاسماء فعل الماكر المخادع ، فليس مع مخالف الرسل سوى المكر في القول والعمل

فلما تم للمعطلة مكرهم وسلك في القلوب المظلمة الجاهلة بحقائق الايمان وما جاء

(١) لعله سقط من هنا : ويؤتي الملك من يشاء

٧٠٦ تنفير متحلي الرأي والذوق والشهوات عن السنة والآخرة [المنار: ج ٩ م ١٨]

به الرسول — ترتب عليه الإعراض عن الله وعن ذكره ومحبته والثناء عليه بأوصاف كماله ونعوت جلاله ، فانصرفت قوى حبها وشوقها وأنسها إلى سواء وجاء أهل الآراء الفاسدة ، والسياسات الباطلة ، والأذواق المنحرفة ، والعوائد المستمرة ، فقعّدوا على رأس هذا الصراط وحالوا بين القلوب وبين الوصول إلى نبيها وما كان عليه وأصحابه ، وعابوا من خالفهم في قعودهم عن ذلك ورغب عما اختاروه لأنفسهم ، ورموه بما هم أولى به منه كما قيل : رميتي بدائها وانسلت وجاء أصحاب الشهوات المعتنون بها الذين يعدّون حصولها كيف كان الظفر في هذه الحياة والبنية فقعّدوا على رأس طريق المعاد والاستعداد للجنة ولقاء الله ، وقالوا : اليوم خمر ، وغدا أمر ، اليوم لك ولا تدري غدا لك أو عليك . وقالوا : لا نبيع ذرة منقودة ، بدرة موعودة

خذ ماتراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة الشمس ما يفتيك عن زحل وقالوا للناس : خلوا لنا الدنيا ونحن قد خّلينا لكم الآخرة ، فان طلبتم منا ما بأيدينا أحلناكم على الآخرة

أناس^(١) يُقَضُّون عيش النعيم ونحو نحال على الآخرة
فان لم تكن مثلاً يزعمون فتلك اذاً صكرة خاسره

فالإيمان بالصفات ومعرفتها وإثبات حقائقها وتعلق القلب بها وشهوده لها هو مبدأ الطريق ووسطه ، وغايته ، وهو روح السالكين ، وحاديهم إلى الوصول ، ومحرك عزائمهم إذا قفروا ، ومثير همهم إذا قصرُوا ، فان سيرهم إنما هو على الشواهد ، فمن كان لا شاهد له فلا سير ولا طلب ولا سلوك له ، وأعظم الشواهد صفات محبوبهم ونهاية مطلوبهم ، وذلك هو العلم الذي رفع لهم في السير فشمروا إليه ، كما قالت عائشة رضي الله عنها « من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد رآه غادياً رافعاً لم يضع لينة على لينة ، ولكن رفع له علم فشمروا إليه » ولا يزال العبد في التواني والفتور والكسل حتى يرفع الله عز وجل له بفضلته ومنه علماً يشاهده بقلبه فيشير إليه ويعمل عليه ، فان عطلت شواهد الصفات ووضعت أعلامها عن القلوب ، وطمست آثارها

(١) في ب « أناس » وفي سائر النسخ الناس

[المثار: ج ٩ م ١٨] حرمان المعطلة من المحبة والتوكل ومقام الاحسان ٧٠٧

وضربت بسياط البعد، وأسبل دونها حجاب الطرد، وتخلفت مع المتخلفين، وأوحى اليها القدر أن اقعدي مع القاعدين، فان أوصاف المدعو اليه ونعوت كماله وحقائق أسمائه هي الجاذبة للقلوب الى محبته وطلب الوصول اليه، لان القلوب انما تحب من تعرفه وتخافه وترجوه وتشتاق اليه وتلتذ بقربه وتطمئن الى ذكره، بحسب معرفتها بصفاته، فاذا ضرب دونها حجاب معرفة الصفات والاقرار بها، امتنع منها بعد ذلك ما هو مشروط بالمعرفة وملزوم لها، اذ وجود المزموم بدون لازمه والمشروط بدون شرطه ممتنع

فحقيقة المحبة والانابة والتوكل ومقام الاحسان ممتنع على المطل امتناع حصول المغل من معطل البذر بل أعظم امتناعا. كيف تصمد القلوب الى من ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه ولا مباينا له ولا محايثا، بل حظ العرش منه كحظ الآبار والوهاد والاماكن التي يرغب عن ذكرها؟ وكيف تأله القلوب من لا يسمع كلامها ولا يرى مكانها ولا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ ولا يقوم به فعل البتة، ولا يتكلم ولا يكلم ولا يقرب من شيء ولا يقرب منه شيء ولا يقوم به رافة ولا رحمة ولا حنان، ولاله حكمة ولا غاية يفعل ويأمر لاجلها؟ فكيف يتصور التوكل على ذلك، ومحبته والانابة اليه والشوق الى لقائه ورؤية وجهه الكريم في جنان النعيم وهو مستو على عرشه فوق جميع خلقه؟ أم كيف تأله القلوب من لا يحب ولا يحب ولا يرضى ولا يفضض ولا يفرح ولا يضحك؟ فسبحان من حال بين المعطلة وبين محبته ومعرفته والسرور والفرح به والشوق الى لقائه وانتظار لذة النظر الى وجهه الكريم والتمتع بخطابه في محل كرامته ودار ثوابه! فلورآها أهلاً لذلك لمن عليها به وأكرمها به اذ ذاك أعظم كرامة يكرم بها عبده، والله أعلم حيث يجعل كرامته، ويضع نعمته (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا؟ أليس الله باعلم بالشاكرين؟ واذا جاءتهم آية قالوا لن تؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله، الله أعلم حيث يجعل رسالته - أ هم يقسمون رحمة ربك؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا، ورحمة ربك خير مما يجمعون) وليس جحودهم صفاته سبحانه وحقائق أسمائه في الحقيقة تنزيهاً

٧٠٨ تأويل آيات الصفات كتأويل آيات المعاد والاحكام [المنازل: ج ٩ م ١٨]

وأما هو حجاب ضرب عليهم فظنوه تنزيهاً ، كما ضرب حجاب الشرك والبدع المضلة والشهوات المردية على قلوب أصحابها وزين لهم سوء أعمالهم فأروها حسنة عدنا الى شرح كلامه . قوله « وقد وردت أساميها بالرسالة » الى آخره ، ذكر ان اثبات الصفات دل عليها الوحي الذي جاء من عند الله على لسان رسوله ، والحس الذي شاهد به البصير آثار الصنعة فاستدل بها على صفات صانعها ، والعقل الذي طابت حياته بزرع الفكر ، والقلب الذي حيي بحسن النظر بين التعظيم والاعتبار ؛ فاما الرسالة فانها جاءت باثبات الصفات اثباتاً مفصلاً على وجه أزال الشبهة وكشف الغطاء وحصل العلم اليقيني ورفع الشك والريب ، فتلججت له الصدور واطمأنت به القلوب ، واستقر به الايمان في نصابه ، ففصلت الرسالة الصفات والنعوت والافعال أعظم من تفصيل الامر والنهي ، وقررت إثباتها أكل تقرير في أبلغ لفظ وأبعده من الاجمال والاحتمال وأمنعه من قبول التأويل ، وكذلك كان تأويل آيات الصفات وأحاديثها بما يخرجها عن حقائقها من جنس تأويل آيات المعاد وأخباره ، بل أبعده منه لوجوه كثيرة ذكرتها في كتاب [الصواعق المرسلة ، على الجهمية والمعتزلة] بل تأويل آيات الصفات بما يخرجها عن حقائقها كتأويل آيات الامر والنهي . فالباب كله باب واحد ومصدره واحد ومقصوده واحد ، وهو اثبات حقائقه والايمان بها ولذلك سطا على تأويل آيات المعاد قوم وقالوا : فعلنا فيها كفعل المتكلمين في آيات الصفات ، بل نحن أعذر ، فان اشتمال الكتب الالهية على الصفات والعلو وقيام الافعال أعظم من نصوص المعاد لا بدان بكثير ، فاذا ساغ لكم تأويلها فكيف يحرم علينا نحن تأويل آيات المعاد ؟ وكذلك سطا قوم آخرون على تأويل آيات الامر والنهي وقالوا : فعلنا فيها كفعل أولئك في آيات الصفات مع كثرتها وتنوعها . وآيات الاحكام لا تبلغ زيادة على خمسمائة آية — قالوا — وما يظن انه معارض من العقليات لنصوص الصفات فعندنا معارض عقلي لنصوص المعاد من جنسه أو أقوى منه ، وقالوا ^(١) متأولو آيات الاحكام على خلاف حقائقها وظواهرها ^(٢) التي سوغ لنا ^(٣)

(١) لعل الاصل « قال » وما بعده فاعله (٢) وفي ب « فظواهرها » وهو غير ظاهر

(٣) هذا مقول المقول ، وصوابه : الذي سوغ لنا هذا القول القواعد الخ أي هو القواعد

[المنار: ج ٩ م ١٨] التأويل سبب فساد الدنيا والدين ٧٠٩

هذا التأويل القواعد التي اصطلمحتموها لنا وجملمتموها أصلاً نرجع إليها فلما طردناها كان طردنا أن الله ماتكم بشيء قط ولا يتكلم ولا يأمر ولا ينهي ولا له صفة تقوم به ولا يفعل شيئاً ، وطرد هذا الأصل لزوم تأويل آيات الأمر والنهي والوعد والوعيد والثواب والعقاب

وقد ذكرنا في كتاب [الصواعق] أن تأويل آيات الصفات وأخبارها بما يخرجها عن حقائقها هو أصل فساد الدنيا والدين . وزول الممالك وتسلط أعداء الاسلام عليه إنما كانت بسبب التأويل ، ويعرف هذا من له اطلاع وخبرة بما جرى في العالم ، ولهذا يحرم عقلاء الفلاسفة التأويل مع اعتقادهم لصحته ، لأنه سبب لفساد العالم وتعطيل الشرائع ، ومن تأمل كيفية ورود آيات الصفات في القرآن والسنة علم قطعا بطلان تأويلها بما يخرجها عن حقائقها ، فانها وردت على وجه لا يحتمل معه (١) التأويل بوجه ، فانظر الى قوله تعالى (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) هل يحتمل هذا التقسيم والتنويع تأويل إتيان الرب جل جلاله بإتيان ملائكته أو آياته ؟ وهل يبقى مع هذا السياق شبهة أصلاً أنه إتيانه بنفسه ؟ وكذلك قوله (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده — الى أن قال — وكلم الله موسى تكليماً) ففرق بين الإيحاء العام والتكليم الخاص ، وجعلها نوعين ، ثم أكد فعل التكليم بالمصدر الرفع لتوهم ما يقوله المحرفون ، وكذلك قوله (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا) فنوع تكليمه الى تكليم بواسطة وتكليم بغير واسطة ، وكذلك قوله لموسى عليه السلام (اني اصطفتيك على الناس برسالاتي وبكلامي) ففرق بين الرسالة والكلام ، والرسالة إنما هي بكلامه ، وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم « انكم ترون ربكم عيانا كما ترون القمر ليلة البدر في الصحو ليس بوجه سحاب » وكما ترون الشمس في الظهيرة صحوً ليس دونها سحاب » (٢) ومعلوم ان هذا البيان والكشف والاحتراز (١) في نوح « منه » (٢) ليس من التأويل ما قالوه في شرح الحديث من أن التشبيه فيه للرؤية لا للمرئي الذي لا يشبهه قمر ولا شمس ولا غيرهما (ليس كمثل شيء) ولا قولهم ان كيفية هذه الرؤية لا تعرف في الدنيا بل ما دونها من أمر الآخرة لا يمكن أن يعرف في الدنيا أيضاً

٧١٠ دلالة صنع الله وأسمائه على ذاته وصفاته وأحكامه [المثار: ج ٩ م ١٨]

نُفاني ارادة التأويل قطعاً ولا يرتاب في هذا من له عقل ودين
قوله « وظهرت شواهدا في الصنعة » هذا هو الطريق الثاني من طرق اثبات
الصفات ، وهو دلالة الصنعة عليها ، فان المخلوق يدل على وجود خالقه وعلى حياته
وعلى قدرته وعلى علمه ومشيتته ، فان الفعل الاختياري يستلزم ذلك استلزاما ضروريا .
وما فيه من الاتقان والإحكام ووقوعه على أكمل الوجوه ما يدل ^(١) على حكمة فاعله
وعنايته ، وما فيه من الاحسان والنفع ووصول المنافع العظيمة الى المخلوق — يدل على
رحمة خالقه واحسانه وجوده ، وما فيه من آثار الكمال يدل على ان خالقه أكمل منه .
فمعطي الكمال أحق بالكمال ، وخالق الاسماع والابصار والنطق أحق بان يكون سميعا
بصيرا متكلما ، وخالق الحياة والعلوم والقدر والارادات أحق بان يكون هو كذلك
في نفسه ، فما في المخلوقات شيء ^(٢) من أنواع التخصيصات من أدل شيء ^(٣) على
ارادة الرب سبحانه ومشيتته وحكمته التي اقتضت التخصيص ، وحصول الاجابة عقيب
سؤال المطلوب على الوجه المطلوب دليل على علم الرب تعالى بالجزئيات وعلى سمعه
لسؤال عبده وعلى قدرته على قضاء حوائجهم وعلى رأفته ورحمته بهم ، والاحسان
الى المطيعين والتقرب اليهم والاكرام واعلاء درجاتهم — يدل على محبته ورضاه ،
وعقوبته للعصاة والظلمة وأعداء رسله بأنواع العقوبات المشهودة تدل على صفة الغضب
والسخط والإبعاد والطرد والإقصاء يدل على المقت والبغض ، فهذه الدلالات من
جنس واحد عند التأمل ، ولهذا دعا سبحانه في كتابه عباده الى الاستدلال بذلك
على صفاته ، فهو يثبت العلم بربوبيته ووحدانيته ، وصفات كماله بآثار صنعة المشهودة
والقرآن مملوء بذلك ، فيظهر شاهد اسم الخالق من نفس المخلوق ، وشاهد اسم
الرازق من وجود الرزق والمرزوق ، وشاهد اسم الرحيم من شهود الرحمة المبثوثة في
العالم ، واسم المعطي من وجود العطاء الذي هو مدار لا ينقطع لحظة واحدة ، واسم
الحليم من حلمه عن الجناة والعصاة وعدم معاجلتهم ، واسم الغفور والتواب من
مغفرة الذنوب وقبول التوبة ، ويظهر شاهد اسمه الحكيم من العلم بما في خلقه وأمره

(١) « ما » زائدة إما هنا وإما في أول الجملة (٢) لعل كلمة شيء زائدة

(٣) لعل الاصل : أدل شيء — أو — من أدل الاشياء

[المنازل: ج ٩ م ١٨] تبصير نور السر صاحبه بالصفات الالهية ٧١١

من الحكم والمصالح ووجوه المنافع، وهكذا كل اسم من أسمائه الحسنی له شاهد في خلقه وأمره يعرفه من عرفه ويجهله من جهله، فخالق والأمر من أعظم شواهد أسمائه وصفاته، وكل سليم العقل والفطرة يعرف قدر الصانع وحذقه وتبريزه على غيره وتفرده بكمال لم يشاركه فيه غيره من مشاهدة صنعته، فكيف لا تعرف صفات من هذا العالم العلوي والسفلي وهذه المخلوقات من بعض صنعته وإذا اعتبرت المخلوقات والمأمورات وجدتها بأسرها كلها دالة على النعوت والصفات وحقائق الاسماء الحسنی، وعلمت أن المعطلة من أعظم الناس عيى بمكابرة، ويكفي ظهور شاهد الصنع فيك خاصة كما قال تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) فالوجودات بأسرها شواهد صفات الرب جل جلاله ونعوته وأسمائه، فهي كلها تشير الى الاسماء الحسنی وحقائقها وتنادي عليها وتدل عليها وتخبر بها بلسان النطق والحال كما قيل:

تأمل سطور الكائنات فانها من الملك الأعلى اليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت خطها ألا كل شيء ما خلا الله باطل
تشير بأثبت الصفات لربها فصامتها يهدي ومن هو قائل
فلست ترى شيئاً أدل على شيء من دلالة المخلوقات على صفات خالقها ونعوت
كمالها وحقائق أسمائه، وقد تنوعت أدلتها بحسب تنوعها، فهي تدل عقلاً وحسب وفطرة
ونظراً واعتباراً (١)

قوله «تبصير النور القائم في السر» يعني ان النور الالهي الذي جعله الله لعبده ويلقيه اليه ويودعه في سره هو الذي يبصره بشواهد صفاته، فكما قوي هذا النور في قلب العبد كان بصره بالصفات أتم وأكمل، وكما قل نصيبه من هذا النور وطفئ مصباحه في قلبه طفيء نور التصديق بالصفات واثربها في قلبه، فانه إنما يشاهدها بذلك النور، فاذا فقدته لم يشاهدها وجاءت الشبه الباطلة مع تلك الظلمة فلم يكن له نصيب منها سوى الانكار

(١) هذه الجملة من قوله «من دلالة المخلوقات» الى هنا سقطت من نوح

فقلناها من ب

٧١٢ تبصير نور السرمصاحبه بالصفات الالهية [المنار: ج ٩ م ١٨]

قوله « وطيب حياة العقل لزرع الفكر » أي يدرك الصفات بذلك النور القائم في سره وطيب حياة عقله التي طيبها زرع الفكر الصحيح المتعلق بما دعا الله سبحانه عباده الى الفكر فيه بقوله (ويتفكرون في خلق السماوات والارض - وقوله - أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والارض وما بينهما الا بالحق - وقوله - كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) (١) فيتفكرون في الآيات التي بينها لهم فيستدلون بها على توحيده وصفات كماله وصدق رسله والعلم بخلقاته ، ويتفكرون في الدنيا وانقضائها واضمحلالها وآفاتنا ، والآخرة ودوامها وبقائها وشرفها ، وقوله (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فالفكر الصحيح المؤيد بحياة القلب ونور البصيرة يدل على اثبات صفات الكمال ونعوت الجلال ، وأما فكر مصحوب بموت القلب وعي البصيرة فأنما يعطي صاحبه نفيها وتعطيها

قوله « وحياة القلب بحسن النظر بين التعظيم وحسن الاعتبار » يعني انه ينضاف الى نور البصيرة وطيب حياة العقل حياة القلب بحسن النظر الدائر بين تعظيم الخالق جل جلاله وحسن الاعتبار بمصنوعاته الدالة عليه ، فلا بد من الامرين فانه ان غفل بالتعظيم عن حسن الاعتبار لم يحصل له الاستدلال على الصفات ، وان حصل له الاعتبار من غير تعظيم الخالق سبحانه لم يستفد به اثبات الصفات ، فاذا اجتمع له تعظيم الخالق وحسن النظر في صنعه أثمر له اثبات صفات كماله ولا بد ، والاعتبار هو أن يعبر نظره من الأثر الى المؤثر ومن الصنعة الى الصانع ومن الدليل الى المدلول ، فينتقل اليه بسرعة لطف ادراك ، فينتقل ذهنه من الملزم الى لازمه ؛ قال الله تعالى (فاعتبروا يا أولي الابصار) والاعتبار افتعال من العبور وهو عبور القلب من الملزم الى لازمه ومن النظير الى نظيره ، وهذا الاعتبار يضعف ويقوى حتى يستدل صاحبه بصفات الله تعالى وكماله على ما يفعله لحسن اعتباره وصحة نظره ، وهو اعتبار الخواص واستدلالهم ، فأنهم يستدلون بأسماء الله وصفاته وأفعاله ، وانه يفعل كذا ولا يفعل كذا ، فيفعل ما هو موجب حكمته وعلمه وغناه وحمده ، ولا يفعل

(١) كذلك حذفت هذه الآيات منهما فنقلت من ب

ما يناقض ذلك ؛ وقد ذكر سبحانه هذين الطريقين في كتابه فقال تعالى في الطريق الاول (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق — ثم قال في الطريق الثانية^(١) — أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) فمخلوقاته دالة على ذاته وأسمائه وصفاته ، وأسمائه وصفاته دالة على ما يفعله ويأمر به وما لا يفعله ولا يأمر به مثال ذلك ان اسمه الحميد — سبحانه — يدل على انه لا يأمر بالفحشاء والمنكر ، واسمه الحكيم يدل على انه لا يخلق شيئا عبثا ، واسمه الغني يدل على انه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، واسمه الملك يدل على ما يستلزم حقيقة ملكه من قدرته وتديره وعطائه ومنعه ونوابه وعقابه ، وبث رسله في اقطار مملكته ، وإعلام عبيده بمراسيمه وعهوده اليهم ، واستوائه على سرير مملكته الذي هو عرشه المجيد ؛ فني قام بالعبد تعظيم الحق جل جلاله وحسن النظر في الشواهد والتبصر والاعتبار بها صارت الصفات والنعوت مشهودة لقلبه قبله له

قوله « وهي معرفة العامة التي لا تنعقد شرائط اليقين الابلها » لا يريد بالعامّة الجهال الذين هم عوام الناس ، وإنما يريد ان هذه هي المعرفة التي وقف عندها العموم ولم يتعدوها ، وأما معرفة أهل الذوق والمحبة الخاصة فأخص من هذا كما سيأتي قوله « وهي على ثلاثة أركان اثبات الصفة من غير تشبيه » الى آخره — هذه ثلاثة أشياء

(أحدها) اثبات تلك الصفة فلا يعاملها بالنفي والانكار

(الثاني) انه لا يتعدى بها اسمها الخاص الذي سماها الله به بل يحترم الاسم كما يحترم الصفة فلا يعطل الصفة ولا يغير اسمها ويعبرها اسما آخر ، كما تسمي الجهمية والمعطلة سمعه وبصره وقدرته وحياته وكلامه أعراضا ، ويسمون وجهه ويديه وقدمه سبحانه جوارح وأعضاء ، ويسمون حكمته وغاية فعله المطاوعة عللا وأعراضا ، ويسمون أفعاله القائمة به حوادث ، ويسمون علوه على خلقه واستوائه على عرشه تحيزا ، ويتوصلون بهذا المكر الكبار الى نفي ما دل عليه الرحي والعقل والفطرة وآثار الصنعة من صفاته ، فيسطون بهذه الاسماء التي سموها هم وأباؤهم على نفي صفاته وحقائق أسمائه

(١) الطريق يذكر ويؤنث وما أرى التانيث هنا والتذكير قبله الا لمن النساخ

٧١٤ تنزيه صفات الله وأفعاله عن التشبيه والتأويل [المنازل: ج ٩ م ١٨]

(الثالث) عدم تشبيهها بما للمخلوق ، فإن الله سبحانه ليس كمثل شيء لافي ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، فالعارفون به المصدقون لرسوله المقرون بكلامه يثبتون له الأسماء والصفات ، وينفون عنه مشابهة المخلوقات ، فيجمعون بين الإثبات ونفي التشبيه ، وبين التنزيه وعدم التعطيل ، فذهبهم حسنة بين سيتين ، وهدي بين ضلالتين ، فصرطهم الصراط المنعم عليهم ، وصرط غيرهم صراط المغضوب عليهم والضالين ، قال الامام أحمد رحمه الله : لا نزيل عن الله صفة من صفاته لاجل شناعة المشنعين — وقال — التشبيه أن تقول : يد كيدي . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قوله « والإياس من ادرا كنهها وابتغاء تأويلها » يعني ان العقل قد يئس من تعرفه كنه الصفة وكيفيتها فانه لا يعلم كيف الله الا الله ، وهذا معنى قول السلف ، [بلا كيف] أي بلا كيف يعقله البشر ، فان من لا يعلم حقيقة ذاته وماهيته كيف يعرف كيفية نعوته وصفاته ؟ ولا يقدح ذلك في الايمان بها ومعرفة معانيها ، فالكيفية وراء ذلك ، كما انا نعرف معاني ما أخبر الله به من حقائق ما في اليوم الآخر ولا نعرف حقيقة كيفية مع قرب ما بين المخلوق والمخلوق ، فمعجزنا عن معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم ، فكيف يطمع العقل المخلوق المحصور المحدود في معرفة كيفية من له الكمال كله والجمال كله والعلم كله والقدرة كلها والعظمة كلها والكبرياء كلها ، من لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحاته السموات والارض وما فيهما وما بينهما وما وراء ذلك ، الذي يقبض سمواته بيده فتغيب كما تغيب الخردلة في كف أحدنا ، الذي نسبة علوم الخلائق كلها الى علمه أقل من نسبة نقرة عصفور من بحار العالم ، الذي لو أن البحر يملؤه من بعده سبعة أبحر مداد ، وأشجار الارض من حين خلقت الى قيام الساعة أقلام ، في المداد وفيت الأقلام ولم تنفذ كلماته ، الذي لو أن الخلق من أول الدنيا الى آخرها أنسهم وجنهم وناطقهم وأعجمهم جعلوا صفا واحدا ما أحاطوا به سبحانه ، الذي يضع السموات على اصبع من أصابعه والارض على اصبع والجبال على اصبع والأشجار على اصبع ثم بهزهن ثم يقول : أنا الملك . فقاتل الله الجهمية والمعتلة ! أين التشبيه هاهنا وأين التمثيل ؟ لقد اضمحل هاهنا كل موجود سواه فضلا عن أن يكون له ما يماثله في ذلك الكمال ويشابهه فيه .

فسبحان من حجب عقول هؤلاء عن معرفته وولاهما ما نولات من وقوفها مع الالفاظ التي لا حرمة لها والمعاني التي لاحقائق لها ، ولما فهمت هذه الطائفة من الصفات الالهية ما تفهمه من صفات المخلوقين فرت الى إنكار حقائقها وابتغاء تحريفها وسمته تأويلاً ، فشبهت أولاً وعطلت ثانياً ، وأساءت الظن بربها وبكتابه وبنبيه وبأتباعه ، أما إساءة الظن بالرب فانها عطلت صفات كماله ونسبته الى انه أنزل كتاباً مشتملاً على ما ظاهره كفر وباطل ، وان ظاهره وحقائمه غير مرادة ، وأما إساءة ظننا بالرسول فلانه تكلم بذلك وقرره وأكده ولم يبين للامة ان الحق في خلافه وتأويله ، وأما إساءة ظننا بأتباعه فنسبتهم لهم الى التشبيه والتمثيل والجهل والحشو ، وهم عند أتباعه أجهل من أن يكفروهم الا من عاند الرسول وقصد نفى ما جاء به . والتوم عندهم في خفارة جهلهم قد حجبت قلوبهم عن معرفة الله وإثبات حقائق أسمائه وأوصاف كماله (له بقية)

تقرير المطبوعات الجديدة*)

الحلق — مباحث علمية في النفس والعقل وقواها وكنه الاخلاق والعوامل المغيرة لها وتأثير العقل والبيئة والوراثة فيها . وماهية الفضيلة وتنوع درجاتها في أدوار الحياة وأنواعها وحدودها ، والرديلة ونشأتها وأقسامها ودرتها

تأليف حسن افندي فتوح بنظارة (وزارة) المعارف ، طبع بمطبعة الجملية بمصر سنة ١٣٣٠ طبعاً نظيفاً على ورق متوسط بحرف بنط ٢٤ صفحاته ١٤٤ بالقطع الصغير وثمانه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر

عظة الناشئين — كتاب أخلاق وآداب واجتماع . تأليف الشيخ مصطفى الغلايبي أستاذ اللغة العربية في المدرسة السلطانية في بيروت ، طبع بمطبعة الثبات في بيروت سنة ١٣٣٠ صفحاته ٦٦ بالقطع الصغير

ومن مباحثه : الاقدام — الصبر — الاخلاص — الشجاعة ، الشرف — الهجمة واليقظة ، الثورة الادبية ، الامة والحكومة ، الغرور ، التجدد — الدين ، المدنية ، الحرية — الزعامة والرئاسة — السعادة ، القيام بالواجب ، الثقة — التعاون — التعصب ، ورثاء الارض الخ

(*) عهدنا بتقرير المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

كتاب الارشاد الى تربية العقل — تأليف الدكتور محمود علي السركي طيب
مستشفى المنيا الاميري ، طبع سنة ١٩١٣ بمطبعة (الآداب الشرقية) بالمنيا على ورق
متوسط صفحاته ١٤٨ بالقطع الوسط وثمنه ١٢ قرشا

من مباحث هذا الكتاب : الفهم والمعرفة ، كيفية تحصيل الاعمال ، كيفية الملاحظة ،
كيفية الحكم ، كيفية الاحساس ، كيفية العمل ، الارادة ، كيف تكون علاقة الانسان
مع غيره ، كيف يجب أن يكون الانسان ، كيف يتجنب الضرر ، معنى الحياة

جمال الزوجة — تأليف الاستاذ الشيخ مهدي أحمد خليل . طبع بمطبعة الجمالية
بمصر سنة ١٣٣٣ صفحاته ١٥٢ بالقطع الصغير ثمنه $\frac{3}{4}$ ويطلب من مكتبة المنار بمصر
جدير بالطلبة والشبان والشابات مطالعة هذا الكتاب فانه من أفيد ما كتب في
هذا الموضوع ، وقد توخى كاتبه فيه استعمال المفردات العربية لحلال النساء وحلنهن
وغير ذلك وشرح هذه المفردات ، كما هو دأبه في تصانيفه التعليمية المفيدة

فصول الكتاب : نصائح للامهات ، ما يلزم للمولود المنتظر ، الاعتناء بصحة
الأولاد ، التسنين ، غذاء الطفل ، الارضاع المختلط ، الارضاع الصناعي ، تخفيف اللبن ،
غلي اللبن وتعقيمه ، الفطام ، الاعتناء بشدي الام عند الفطام . وفي كل فصل من هذه
بيان وايضاح وشرح لا يستغنى عنه من يعلم ما يجب عليه لأولاده وأمنته ونوعه

قبل الزواج وبعده — تأليف الدكتور ا . د نيسون لايت ، الانكليزي
وترجمه بالعربية محمد افندي عبد العزيز الصدر وطبع بالمطبعة الحميدية المصرية بمصر
طبعا نظيفا ، صفحاته ٧٠ بالقطع الصغير وثمنه $\frac{3}{4}$

مباحث هذا الكتاب : مستقبل الطفل ، متى أتزوج ، الميل الشهواني — فوائده
ومضاره ، التشريح الجنسي ، الولادة ، قانون الزوج ، قانون الزوجة . وفي الكتاب
جدول لاوقات إرضاع الطفل ومقدار كل رضعة من الماء واللبن من أول عمره الى
الشهر الثاني عشر فنحث الامهات والآباء على اقتنائه

تدبير حياة الرضيع الصحية من يوم ولادته الى يوم الفطام — تأليف الدكتور
نجيب افندي قناوي طبيب عيادة اللادي كرومر للاطفال بالاسكندرية . طبع بمطبعة

محمد الكلزہ بالاسكندرية سنة ١٣٢٩ طبعاً نظيفاً على ورق جيد وثمنه ثلاثة قروش، وهو من أنفع الكتب في هذا الباب

جرجي زيدان — كتاب فيه ترجمة حياة جرجي بك زيدان صاحب الهلال ومراثي الشعراء والكتاب وحفلات التأبين وأقوال الكتاب والمجلات والجرائد في الفقيده وآثاره ومكانته العلمية الادبية وفي الكتاب رسوم الفقيده شابا وكهلا طبع بمطبعة الهلال بمصر على ورق جيد سنة ١٩١٥ وصفحاته ١٤٧

تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان — الجزء الرابع — طبع بمطبعة الهلال على ورق متوسط سنة ١٩١٤ وصفحاته ٣٢٨ بقطع المنار وثمنه ٢٠ ويطلب من مكتبة الهلال ومكتبة المنار بمصر

هذا الجزء هو ثمة أجزاء الكتاب ، وبه تمت حياة المؤلف المملوءة جدا ونشاطا وعملا

يشتمل هذا الجزء على تاريخ آداب اللغة العربية وعلومها وتراجم العلماء والادباء والشعراء ووصف مؤلفاتهم وأماكن وجودها ، من عهد دخول الفرنسيين الى مصر سنة ١٢١٣ هـ الى هذه الايام ، وقد قرظ المنار أجزاء هذا الكتاب الثلاثة ونشر انتقاد الاستاذ الاسكندري له ، وأنصف مؤلفه فيما كتبه عن مؤلفاته

ألقى المصنف بهذا الجزء جدولا استغرق ٦ صفحات في تصحيح الاغلاط التي استفادها من المنتقدين على الاجزاء التي قبله ، وذكر منهم الاب لويس شيخو والاب انستاس الكرمل والشيخ احمد عمر الاسكندري واحد آل كاشف الغطاء وعيسى افندي المعلوف . وهؤلاء نشرت انتقاداتهم في مجلات المشرق ولغة العرب والمنار والعرفان ، وذكر من المنتقدين الذين كاتبوه احمد بك تيمور . ولكنه لم يذكر الشيخ شبلي النعماني فانه كاتبه وكتب انتقاداً على تاريخ التمدن الاسلامي في المنار ، غير انه كان في انتقاده شدة وغلظة ضاق بها صدر جرجي بك زيدان على سمته

وفي هذا الجدول استدركات استفادها المؤلف من المطالعة وفي ذيله ترجمة حياته وذكر جميع مؤلفاته وفيه فهرس للاجزاء الاربعة

كتاب أصول علم الاقتصاد — تأليف الاستاذ ووكر الامريكي وتريب محمد حمدي بك السيد من قضاة المحاكم الاهلية يطبع بمطبعة المنار طبعا نظيفا على ورق جيد وقد صدر الجزء الاول منه في أواخر سنة ١٣٣٣ وصفحاته ٢٥٨ وثمنه ٢٠ قرشا ولتلاميذ المدارس العليا ١٥ قرشا ويطلب من مكتبة المنار بمصر ان الحالة المالية والاقتصادية بمصر جعلت الحاجة ماسة الى وجود كتب في علم الاقتصاد والى مدرسين يدرسونه في المدارس ولا سيما في هذه البلاد التي كثرت فيها الشركات الزراعية والتجارية والصناعية واتسعت دائرة الاعمال المالية . وان بلادا كالبلاد المصرية في حالتها المدنية وتغلغل الافرنج فيها واداراتهم للمصارف والشركات فيها لا يمكن أن يحفظ أهلها ثروتهم أو أرضهم فضلا عن أن ينموها الا اذا كثر فيهم العارفون بهذا العلم وبنوا أعمالهم المالية كلها على أصوله التي بنى عليها غيرهم ، فوجب على المصريين خاصة والعرب عامة تناول هذا الفن لان مصر اليوم هي أرقى بلاد العرب ثروة فاذا ارتقى هذا العلم فيها يكون ذلك مقدمة لارتقائه في غيرها

يظن كثير من الناس ان الاقتصاد كل الاقتصاد أن لا تنفق كثيرا ، أو ان تدخر من كسبك شيئا لوقت حاجتك ، وهذا وهم منشأ الجهل فان تناول علم الاقتصاد أوسع من ذلك واكبر من أن ينحصر بالتقتير والتصديق على من وسع عليهم في الرزق وأقل ما يقال فيه انه علم يبحث في (ايجاد الثروة) وهذه الكلمة تتضمن معرفة طبيعة الارض واستعدادها وكيفية توزيع محصولاتها وتكون الصناعة وارتقائها وتأثير العوامل الطبيعية والسياسية والادارية والمركز السياسي في ذلك . ثم هو يبحث في (انماء الثروة) وما يلزم لذلك من تأثير الصناعة وارتقائها وتصرف مديري المصانع وعمل الصناع ورأس المال والقيمة الاعتبارية للنقد أو ما يقوم مقامها والمبادلة والارباح والاقوات وقيمة الايجار والتوزيع والاشتراك ومعاملة الدول وتبادل بعضها مع بعض . ثم ما لا اعتصاب العمال وتأثير القوانين الادارية والسياسية في ذلك فالاقتصاد هو ما يوجد ثروة لامة والفرد وينميها أي أن تعلم كيفية كسب المال وكيفية انفاقه بما يعود عليك وعلى أمتك بالثراء ونعمة العيش

ولما أحس الناس بالحاجة الى هذا العلم في السنين الاخيرة كتب فيه بعض الكتّاب مقالات في الجرائد والمجلات ، وترجم آخرون بعض المختصرات ، وكان آخر ما ارتقت العناية اليه أن انبرى محمد حمدي بك السيد القاضي بالمحاكم الاهلية الى ترجمة (أصول علم الاقتصاد السياسي) فأفرغ جهد المستطاع في نقله الى العربية مع ما يلزم لذلك من تعريب الاصطلاحات الفنية فأخرجته ترجمة وأتم طبع الجزء الاول منها وقد أوشك أن يتم طبع الجزء الثاني . ومن مميزات هذا الكتاب ان المؤلف قد وفى المسائل حتمها ، وأعطاه من الايضاح قسطها ، وأبرزها في لغة العرب بعبارة سهلة المتناول صحيحة التعبير واضحة المعنى غير متنطم ولا متقعر

كتاب دروس سنن الكائنات

في مدرسة دار الدعوة والارشاد

دروس علمية طبية اسلامية في الكيمياء والطبيعة والتشريح ووظائف الاعضاء وقانون الضحكة وعلم الانسجة للدكتور محمد توفيق صدقي نشرتها مجلة المنار وطبعتها على نفقتها بمطبعتها على ورق جيد وقدم طبع الجزء الاول فبلغت صفحاته ١٨٦ بقطع المنار وثمنه ٥ قروش ويطلب من مكتبة المنار وادارته بمصر

الدكتور محمد توفيق صدقي بحاثة منقب، مؤلف محقق، عرفه قراء المنار بآثاره من أول عهده بالكتابة العلمية لانه قلما كتب شيئاً في غير المنار. ودروسه هذه مبنية على البحث والاطلاع والتحقيق والجمع بين العلم والعمل فهي كتاب علمي طبي جدير بأن يدرس في المدارس العربية ولا سيما الدينية منها لانه يقرب هذه العلوم من ذهن التلميذ بعبارة عربية سليمة ، التزم فيها تعريب الاصطلاحات العلمية والتوفيق بين مسائل العلم المحققة ونصوص القرآن والحديث عند الحاجة الى ذلك ، لالا أن المراد مزج العلم بالدين في التعليم كما يتوهم من يرى أن الفصل بينهما بتعليم كل منهما وحده أولى ، بل لان الغرض الاول من هذه الدروس أن يكون لرجال الدين الذين يعدون الارشاد والتعليم إمام صحيح بالعلوم التي يحتاجون اليها في التربية والارشاد من وجهين (أحدهما) تقوية الايمان بما ترشد اليه هذه العلوم من الآيات على

قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته ووحدانيته (وثانيهما) العلم بأن الانتفاع بها مطلوب شرعاً لأممنا كما يتوهمه الجاهلون. مثال هذا أن توقي ميكروبات الأمراض والآفات التي تصيب الإنسان والحيوان والنبات لا ينافي الإيمان بالله ولا اتوكل عليه ولا ما نقل في كتب الدين من نفي العدوى الجاهلية، فإذا لم يكن رجال الدين على بصيرة في ذلك لا يسهل عليهم القيام بوظيفة الإرشاد الإسلامي الذي يجب أن يكون جامعاً بين حقوق الأرواح والأجساد، ومصلحتي المعاش والمعاد

الألفاظ الكتابية: لعبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمداني — هذا الكتاب غني عن التعريف والتقرير وهو أشهر من نار على علم، وقد طبع مرات بأشكال مختلفة، ولعل آخر طبعة طبعها هي هذه التي طبعها محمد أمين ومحمود توفيق بمطبعة الجالية بمصر سنة ١٣٢٩ على ورق أبيض بقطع رسالة التوحيد وجعلاً ثمنه أربعة قروش ويطلب منها ومن مكتبة المنار بمصر

أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه — رسالة مقتبسة من كتاب يثيمة الدهر الشهير تأليف أبي منصور الثعالبي، طبعه علي عطية بمطبعة الجالية بمصر على ورق أبيض صفحاته ١١٢ بقطع الإسلام والنصرانية وثمانه $\frac{1}{4}$ ويطلب من مكتبة المنار بمصر موضوع الرسالة ما قيل في شعر المتنبي انتقاداً وتقريظاً وهو ما كتبه الثعالبي في يثيمة عند الكلام على أبي الطيب وقال في آخره أنه يصلح أن يكون كتاباً مستقلاً وهو القائل في المتنبي: إنه نادرة الفلك وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر.

ديوان عبد الرحمن شكري — طبع الجزء الثالث من هذا الديوان في مطبعة غرزوزي بالإسكندرية سنة ١٩١٥ بلغت صفحاته ٧٤ فيها من القصائد والمقاطع ٥٥ ثمنه $\frac{1}{2}$ ويطلب من مكتبة المنار بمصر

شعر عبد الرحمن شكري معروف لقراء العربية فهو يطرق أبواباً لم يطرقها غيره لأنه يقول الشعر للشعر لا للسعر فإذا كان الكون في نظر الشاعر قصيدة — كما يقول شكري — فإن قصائده أبيات من تلك القصيدة كما يعلم من عناوين هذا الجزء ومنها: الربيع والصبا، بين الحقيقة، الخيال، الشعر والطبيعة، سحر الربيع، الحسن مرآة الطبيعة، وغير ذلك ومن قصائده الأخلاقية قصيدة تحت عنوان «صوت النذير» تمثل غيرته وشاعريته